

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٧ - الموافق ١٥ محرم سنة ١٣٣٦

صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول^(١)

هو السلطان فؤاد الاول سلطان مصر والسودان ابن عزيز مصر الخليل وصادق الوعد اسمعيل بن البطل المغوار ابراهيم بن محمد علي الكبير منقذ مصر ومخرجها من الظلمات الى النور . وهو الحاكم التاسع من السلالة المحمدية العلوية

ولد الامير احمد فؤاد في قصر والده المغفور له الخديوي اسمعيل بالجيزة في الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٤ هجرية (٢٦ مارس ١٨٦٨ ميلادية) . ولما بلغ السابعة من عمره السعيد ادخله والده المدرسة المخصصة لتعليم النجالة الامراء في رحبة عابدين . وكانت مشغولة بنظارة حضرة صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا فمكث فيها ثلاثة اعوام يتلقى بادي العلوم والمعارف الى ان كانت سنة ١٨٧٨ وقد اكمل السنة العاشرة من عمره فاصدروا له امره الكريم الى دور بك المفتش في نظارة المعارف العمومية وصاحبي السعادة حسن جلال باشا وحمد الله امين باشا المدرسين في المدارس الاميرية بالسفر في معية الامير الى مدينة جنيف من اعمال سويسرا فادخله دور بك مدرسة توديك وعاد الى مصر وبقي في معيته حسن جلال باشا مدرسا للغة العربية وحمد الله امين باشا مدرسا للتركية والفارسية فمكث في تلك المدرسة سنتين وهو عنوان المواظبة والنشاط والاجتهاد

ولما كانت سنة ١٨٧٩ سافر والده الخديوي اسمعيل الى ايطاليا فاتي لمقابلته في مدينة نابولي ومنها الى مصر ثم عاد الى نابولي واقام مع والده ثلاثة اشهر في القصر الملكي الشهير المعروف باسم فاوريثا بضواحي نابولي . وبناء على رأي جلالة الملك اومبرتو الاول ملك

(١) بقلم احد الفضلاء الباحثين المدققين

ابطاليا السابق وصديق الخديوي اسمعيل دخل الامير فؤاد سنة ١٨٨٠ المدرسة الاعدادية الملكية في مدينة تورينو ولما اتم دروسه فيها نقل الى مدرسة تورينو الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثانٍ في سلاح الطوبجية فدخل مدرسة تورينو الحربية العليا وهي احدى المدارس الحربية الثلاث المشهورة في العالم واتم دروسه فيها سنة ١٨٨٨ وانضم الى الاي الطوبجية الثالث عشر المعسكر في مدينة روما ومكث ضابطاً في الجيش العامل سنتين كاملتين

وسنة ١٨٩٠ سافر الى الاستانة لزيارة والده فعرفه السلطان عبد الحميد وعرف قدره فعينه ياوراً فخرياً لجلالته وانتدبه بصفة ملحق حربي لسفارة الدولة في مدينة فينا مكث في هذه الوظيفة سنتين قام فيها بوظيفته خير قيام

ولما كانت سنة ١٨٩٢ استدعاه الجناب الخديوي السابق من فينا وعرض عليه ان يتولى منصب كبير ياورانه فلي داعمي الوطن بكل ارتياح وعاد الى مصر فاسندت اليه رتبة الفريق الرفيعة . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٢ صدر الامر العالي بتعيينه سر ياوراً للحضرة الفخيمة الخديوية وهذا نصه :

« الى سعادتك البرنس احمد فؤاد باشا

« انه بناءً على ما انصفتم به من صفات المعارف والكمالات وما هو مشهور عندنا من لياقتكم وحسن درايتكم ووثوقنا بذاتكم قلدنا سعادتكم وظيفة سر ياورنا وصدر امرنا للسر دارية بذلك وهذا لسعادتكم للعلمية ومباشرة امور وظيفتكم هذه حسبما نعهد في سعادتكم من الغيرة والحمية وفقنا المولى جميعاً لما فيه الخير والصلاح امين »

وظل الامير فؤاد متولياً هذا المنصب العسكري السامي ثلاثة اعوام متوالية رفع فيها شأن العسكرية في البلاد وجعل الحرس المصري يضارع اعظم حرس في الممالك الاوربية من حيث النظام وحسن الهندام . وجميع الضباط الذين تشرعوا بالخدمة تحت امره يذكرون تلك الاعوام الثلاثة بمنتهى الفخر والاعجاب

ثم رأى ان يقف حياته لخدمة وطنه بنشر الوية العلم والعرفان وتخفيف الآلام عن بني الانسان فاول ما اتجهت اليه همته العالية مشروع الجامعة المصرية فانها لم تكن الى سنة ١٩٠٨ الا مجرد امنية من الاماني الوطنية الكبرى فاخرجها الى حيز الوجود واحفل بافتتاحها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ . واليك بعض شذرات من الخطبة النفيسة التي القاها في حفلة الافتتاح الرسمية بالقاعة الكبرى لمجلس شورى القوانين . قال حفظه الله : « لقد جاء اليوم الذي نقضي فيه الضرورة على الشبهة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس

القاهرة دون ان تغرب في ربوع العلم التي نالت بفضلها مكانة عالمية في العمران
 «وانني ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية
 خصوصاً. اذ اننا لم تقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الا لترقية هذه الشبيبة
 التي لا يكفيننا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى انه يتحتم عليها ايضاً ان نحلى
 بفضلي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح. ولاريد عندنا في انما ستكسب هاتين الخلتين
 الجديتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة بامرها»
 ولم يترك مشروع الجامعة المصرية في المهد صبيحاً بل استمر يعضد الجامعة بعالي همته
 ونفوذها ويعاونها بثاقب رأيه وتديبره حتى اصبحت بفضل الله ذات مقام رفيع بين جامعات
 الامم الاوربية. وبفضل سعيه المشكور لدى الدول الاوربية وفق الى استحضار كبار العلماء
 المستشرقين من اوربا للتدريس فيها فقاموا بالقاء محاضرات نفيسة كانت تطبع وتنتشر في
 انحاء البلاد كما انهم وفقوا الى وضع بعض المؤلفات في العلوم العالية واثبتوا لانفسهم على
 البلاد فضلاً بذكر فيشكر

وبفضل سعيه لدى دولة بريطانيا العظمى ودولتي فرنسا وايطاليا قبلت حكومات
 هذه الدول ان يتعلم بعض الطلبة من ابناء مصر مجاناً في جامعات لندن وباريس وروما .
 وانشأت مكتبة عظيمة للجامعة تحتوي ما ينيف على اثني عشر الف مجلد . وبسعيه اهدت اليها
 الحكومات والمعاهد العلمية الاجنبية مجموعات كتب نفيسة ونالت الجامعة خمسة آلاف جنيه
 ائانة سنوية من ديوان عموم الاوقاف والتي جنيهه من الحكومة المصرية

وفي سنة ١٩٠٩ اسس بجانب الجامعة المصرية الجمعية السلطانية للاقتصاد السياسي
 والاحصاء والتشريع واحنفل بافتتاحها في ٨ ابريل سنة ١٩٠٩ فقامت بمحاضرات ومباحث
 نفيسة كانت تنشر في مجلة تدعى مصر الحاضرة والمعاصرة L' Egypte Contemporaine
 وهي من انفس المجلات المصرية

واسس سنة ١٩٠٩ ايضاً جمعية لترغيب السياح في زيارة الاقطار المصرية ومشاهدة آثارها
 العظيمة وذلك لتوثيق عرى الالفة والوداد بين الامة المصرية وسائر الامم الاجنبية ولتوفير
 اسباب الارتزاق لكثير من ارباب الحرف والصناعات الوطنية . وقد فكر في اقامة معرض
 في القاهرة تعرض فيه جميع المصنوعات الافريقية Exposition Panafricaine
 فلم يتم هذا المشروع الآن

وفي ٥ يناير سنة ١٩١٠ اجتمع مجلس ادارة جمعية الاسعاف بمدينة القاهرة وانتخب سموه باجماع

الآراء رئيساً للجمعية الاسعاف فقبل الرأسة وقام بها خير قيام والى سموه يعود الفضل في انشاء صيدلية كبرى في مركز الجمعية بمصر المحروسة

وفي ١٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٥ صدر النطق السلطاني الكريم بتوجيه رأسة الجمعية الجغرافية السلطانية الى سموه وهي الجمعية التي وضع اساسها والده الخديوي اسماعيل سنة ١٨٧٥ فادركها الامير بهمة واعاد اليها الحياة والنشاط بعد ان كادت تندثر وتصبح اثرأ بعد عين ومن مآثره في الجمعية الجغرافية وضع اللائحة الداخلية الجديدة التي صدر بها امر عال في ١١ اغسطس سنة ١٩١٧ وعنايته بتفسيق مكتبتها ومتحفها المحفوي على نفائس الآثار وفي ٢ مارس سنة ١٩١٦ تعهد برأسة جمعية الهلال الاحمر المصري تخفف حفظه الله آلام الاسر والاسقام عن الوف من اسرى الحرب وكلهم السنة تدعو له بطول العمر والبقاء وقلوب تضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يجزيه عن الانسانية جزاء الخير وخير الجزاء وفي ٨ يناير سنة ١٩١٧ انتخب عضو شرف في الجمع العلمي المصري فكان من باكورة اعماله المشكورة انه وضع جائزة مالية لمن يؤلف احسن مؤلف في تاريخ والده الخديوي اسماعيل وما قام به مدة حكمه من جلائل الاعمال

ومن اباديه البيضاء على مدينة الاسكندرية تأسيس مصنع لتعليم البنات الفقيرات الاشغال اليدوية الدقيقة وقد احنفل في شهر سبتمبر الماضي بافتتاح معرض عرض فيه اشغالهن اليدوية فنالت اعجاب الاسكندرية بين وسائر الزائرين كما انه فكر في انشاء معهد في ثغر الاسكندرية لتربية الاسماك واكثارها في السواحل المصرية ليكون منها غذاء وافر للفقراء والاغنياء على السواء

ومن الشركات الاقتصادية المشمولة برأسته شركة سكك حديد الوجه البحري البلجيكية وقد انتخب رئيساً لها في ٦ فبراير سنة ١٩١٥ خلفاً لاختيه المغفور له السلطان حسين وبالاختصار فانه كان يرأس ما ينيف على اثنتي عشرة جمعية بين علمية وخيرية واقتصادية يديرها كلها بهمة لا تعرف الملل ونشاط لا يعرف النكل

وهو محب للسياحة والاستطلاع فقد خبر الامم وجاب الاقطار وزار معظم عواصم اوربا وتعرف بكثير من الملوك وعظماء الرجال وله اصدقاء عديدون بينهم نخص بالذكر منهم جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى وجلالة الملك فيكتور عمانوئيل الثالث وجناب رئيس الجمهورية الفرنسية وملوك اسبانيا والسويد والبلجيك وسربيا ورومانيا واليونان وغيرهم

وقد فكر اقطاب السياسة الاوربية سنة ١٩١٢ في عرض عرش البانيا عليه فلم يتم هذا المشروع ولله الحمد لحسن حظ مصر فقد حفظت العناية الربانية للبلاد فؤادها وابقتة ذغراً لحياتها وسعادتها

ففي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هجرية الموافق للتاسع من شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ ميلادية اخثار الله لجواره ورضوانه المغفور له المبرور السلطان حسين كامل وكانت وفاته رحمه الله وقت الظهر تماماً فكان شمساً ارتفعت في سماء مصر وبالغت اوج الكمال آلت نجاة الى الزوال . فنودي باخيه الامير فؤاد سلطاناً على مصر والسودان وأنت الاشارات البرقية من سائر انحاء القطر تحمل آيات التهنئة والتبريك بخلوته السعيد . ولسان حال مصر يتمثل بقول السموأل

اذا سيد منا خلا قام سيد قوول لما قال الكرام فعول

وبوم الخميس ٢٤ ذي الحجة جاءت الوفود من المديريات والمحافظات تسعى الى سلطانها الجديد وتقدم الى عظمته فروض الولاء والاخلاص واليك ترجمة التبليغ الوارد الى الحضرة العظمة السلطانية من قبل الحكومة البريطانية وهو «يا صاحب العظمة السلطانية

» بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية اتشرف بان اعرب لعظمتكم عن فائق الاسف الذي شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل الى علمنا نعي المغفور له صاحب العظمة السلطان حسين كامل الذي اكبرت الامة المصرية جميعها اخلاصه لكل ما فيه خيرها اخلاصاً لا يعتر به فتور وقدرته حق قدره فكانت وفاته لديها كارثة وطنية . واني اتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما اصاب نخسكم الكريم من دواعي الحداد

« هذا واني مكلف في الوقت نفسه ان احيط علم عظمتكم انه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوارث المتعين طبعا لوراثة العرش فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوأ هذا العرش السامي على ان يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم

« وان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد ان تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التي اعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائه العرش وهي مقتنعة ان في استطاعتها

ان تعمد في العمل مع عظمتكم على تلك الصداقة التي كانت شعاراً لحكم السلطان المرحوم وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهة والتقدم . ذلك الامر الذي له من المكانة في نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل عن منزلته لدى عظمتكم

« واني انتهم هذه الفرصة فاقدّم لعظمتكم السلطانية اجل احتراماتي

« عن القاهرة في ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧

رجلاد ونجت

وفي اليوم التالي وهو ١٠ اكتوبر صدر الامر السلطاني الكريم الى حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا بتأليف الوزارة وهذا نصه

« عزيزي حسين رشدي باشا

« نعلم رعايانا انه بسبب وفاة سلفنا واخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الاول الذي اخطفتة المنية قبل الاوان وملأت القلوب حزناً عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على ان يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر انها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك ان تصاب في مصادر ها . ولقد لبى سلفنا رحمه الله نداء الواجب وتغافى في اخلاصه لمرافق بلادنا فلم يتردد في تحمل اعباء السلطنة مع ما كان يحف بها من المصاعب . واعتماداً على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذي اختطه في المرسوم الصادر منه الى دولتكم عند ارتقائه عرش السلطنة وقد صار وضع اسس تعميم التعليم ويبحث موارد ثروة القطر والشروع في الوسائل التمهيدية التي من شأنها احلال مصر في مكانة الكرامة اللاتقة بها في العالم الذي سيسجد على اثر انعقاد الصلح

« ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا في ظروف هي اكثر ميماً وتوفيقاً فقد زالت الاخطار التي كان يظهر انها تهدد بلادنا . وعادت ثروة القطر الى ما كانت عليه . وبقي علينا ان نخصص انفسنا بالاشتراك مع نواب الامة اشتراكاً يزداد على الدوام لاقام تنفيذ ذلك المنهاج الذي اخططه سلفنا وان نحقق في جميع الفروع الاصلاحات التي من شأنها ضمان التقدم المادي والادبي في بلادنا

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية فاننا نوجه الى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة ومن الله نلتمس الاعانة على ما نحن قادمون عليه من العمل

فؤاد

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

فاجابه حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا

« يا صاحب العظمة السلطانية

« اني لاشعر بالشرف العظيم الذي اوليتموني اياه بما تفضلتم عظمتمكم به علي من دلائل
الثقة الكبرى بتكليفي تأليف الوزارة الجديدة

« وبالرغم من اعتلال صحي لما تحملته من الاجهاد منذ ثلاث سنوات ولما نالني من
الصدمة العنيفة بنقد سيد كان في آن واحد صديقاً لي فاني وفاء الى النهاية بالواجب
المفروض علي بصفتي مصرياً اقدم في ظل حكم عظمتمكم لخدمة بلادتي القليل الباقي لي
من القدرة على العمل . وبناءً على ذلك فاني آخذ على عهدتي تأليف هيئة الوزارة
الجديدة فاعرض على تصديق عظمتمكم السلطانية تجديد الهيئة السابقة كما كانت

« واني بكل احترام واجلال لعظمتمكم السلطانية العبد الخاضع المطيع المخلص

حسين رشدي

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

وللحال صدر المرسوم السلطاني بتشكيل الوزارة الرشدية الثالثة على ما كانت عليه

وسلطاننا حفظه الله يجيد مع لغته العربية اللغة التركية والفرنسية والابطالية وبقراً
الانكليزية ويفهمها ويعرف احوال بلاده وما تحتاج اليه اتم المعرفة ويعرف ايضاً احوال
الممالك الاوربية . ولقد قام المقطم بالواجب حيث قال يوم ارتقاء عظمته الى عرش مصر

« الامة اليوم بمرأى من حادث عظيم انسأها الحرب واهوالها وحول اهتمامها الى مستقبل
امورها واحوالها فقد قضى الله سبحانه وتعالى - ولا مرد لقضائه - ان يأخذ اليه سلطانها
العز بعد ما تعلق قلوبها بعرشه وارتاحت الى حكمه ورثعت في ظله آمنة مطمئنة كالولد
في حضن والده ووثقت بتحقيق امانها اعتماداً على ما رأت من حكمته وحسن سياسته
وصدق غيرته ومحبتة . وشاء الله - والخير في مشيئته - ان يلقي مقاليد امورها الى سلطانها
الجديد ليم في عهده ما كانت ترجو ان يتم في عهد سلفه . فهي طبعاً لتسأل اليوم كيف
يتم ذلك وتتشوف الى معرفة الدلائل والقرائن والاسباب التي تحقق آمالها في عظمته
وتنبئها معظم الخير من نتائج حكمه . ولهذا رأينا ان نورد هنا بعض ما عن لنا من تلك
الدلائل والقرائن التي عرفنا بعضها بالخبر وبعضها بالخبر

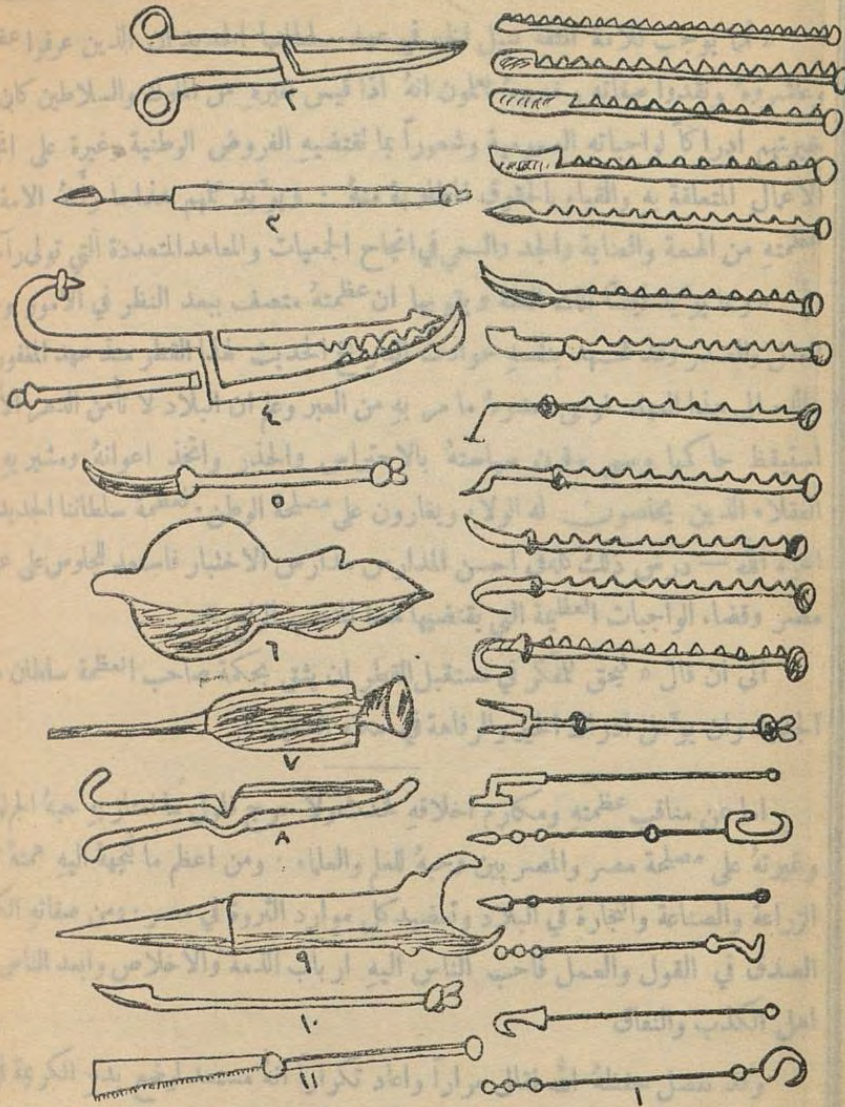
«فما يوجب للامة الثقة بنيل الخير في عهد سلطانها الجديد ان الذين عرفوا عظمته وعاشروه ونقدوا صفاته وخبروه يعلمون انه اذا قيس بغيره من الملوك والولاة كان من خيرتهم ادراكاً لواجباته العمومية وشعوراً بما تقتضيه الفروض الوطنية وغيره على النجاح الاعمال المتعلقة به والقيام بالحقوق المطلوبة منه . ويؤيد علمهم هذا ما رآته الامة في عظمته من الهمة والعناية والجد والسعي في النجاح الجمعيات والمعاهد المتعددة التي تولي راسها » وبما يؤيد ايضاً تلك الثقة ويقويها ان عظمته متصف ببعد النظر في الامور وسعة العقل والصدر وقد شهد بنفسه حوادث التاريخ الحديث لهذا القطر منذ عهد المغفور له والده الى هذا العهد فوعى صدره ما مر به من العبر وعلم ان البلاد لا تأمن الدهر الا اذا استيقظ حاكمها وسهر وقرن سياسته بالاحتراس والحذر واتخذ اعوانه ومشيريه من العقلاء الذين يخلصون له الولاء ويفارون على مصلحة الوطن . فعظمة سلطاننا الجديد — اعزه الله — درس ذلك كله في احسن المدارس ومدارس الاختبار فاستعد للجلوس على عرش مصر وقضاء الواجبات العظيمة التي يقتضيها هذا المنصب الرفيع »

الى ان قال « فيحق للمفكر في مستقبل القطر ان يثق بحكمة صاحب العظمة سلطان مصر الجديد وان يؤمل ادراك الخير والرفاهية في حكمه السعيد »

اما عن مناقب عظمته ومكارم اخلاقه فحدث ولا حرج فاول ما امتاز به حبه الجم لوطنه وغيرته على مصلحة مصر والمصر بين وحبه للعلم والعلماء . ومن اعظم ما نتجته اليه همته ترقية الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد وتعضيد كل موارد الثروة في مصر . ومن صفاته الكريمة الصدق في القول والعمل فاحب الناس اليه ارباب الذمة والاخلاص وابتعد الناس عنه اهل الكذب والنفاق

وقد تفضل حفظه الله فقال مراراً واعاد تكراراً انه مستعد لوضع يده الكريمة في يد كل عامل خير وطنه غيور على مصلحة بلاده وأنه يعتمد على معونة الجميع للسير بالبلاد في مراقبي النجاح والفلاح . حقق الله ما يقصده وما ينويه

ومن حسن حظ مصر ان عظمة السلطان فؤاد جلس على عرشها في نحو الخمسين من عمره وهو سن الكمال في الملوك والولاة فقد جمع بين هممة الشباب وحكمة الشيوخ . متعة الله بالصحة والعافية والسعادة والرفاهية وجعل عهده بملك مصر عهد سعادة ورخاء وايام هناء ورفاء انه سميع مجيب الدعاء



- (١) صور آلات مختلفة لتجريد الاسنان وتنظيفها (٢) مقص لفص السجل اي العروق المحرر من العين (٣) مفدح لفدح العين في عملية الكتركنا (٤) كلابة لتزع اصل الضرس المكسور (٥) عتلة لقلع اصل الضرس اذا لم يقطع بالكلابة (٦) مسعوط تقطربو الادوية في الانف (٧) جفت لاخراج ما يقع في الاذن (٨) كلابة لقلع اصول الاضراس (٩) جفت لتزع العظام المنكسرة من الفك (١٠) آلة لقطع الضرس الزائد النابت خلف غيره (١١) مبرد لتزع الضرس الزائد اذا امكن برده

مقتطف نوفمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٤٢٥

فضل العرب على الجراحة^(١)

قالت دائرة المعارف البريطانية المطبوعة حديثاً جزء ٢٦ ص ١٢٧ « قلما كان للعرب زينة في علم الطب اعظم من انهم حفظوا ما استلموه فيه من الاقدمين . وما اضافوه الى الجراحة بنوع خاص قليل وذلك اولاً لان دينهم يستكره تشریح الموتى وثانياً لان من طبعهم تحمل الالام التي تصيبهم بالصبر والالفة من اتخاذ الوسائل لتخفيفها واطباؤهم المشهورون مثل ابن سينا وابن رشد ليس لهم شأن كبير في الجراحة واشهر من الف منهم في الجراحة ابو القاسم المتوفى سنة ١٢٢ للميلاد وهو مشهور بنوع خاص بكثرة استعماله الكي والكاويات . ونداء العرب عن اسئلال كثير بامتناعه عن الالتجاء الى الجراحة في معالجة الغواتر وفي قلة التجاؤه الى شق القصبة ولا سيما في تجنبه العمليات الجراحية في السرطان وفي تفريغه صديد الخراج الكبيرة تدريجاً »

ثم قالت — وانشئت استبالية او تل ديو بليون سنة ٥٦٠ وفي باريس بعد قرن . ومدرسة موبليه انشئت ١٠٢٥ وكان التعليم على نسق عربي ويهودي . ومجلس تورز ١١٦٣ قرر عدم اشتغال الكهنة بالطب . ونقول ان كل المؤلفات ان هي الا إعادة طبع وترجمة الكتب العربية

ولقد اخذنا نبحث عن اسم ابي القاسم بين المؤلفين ونسائل عن كتبه فلم نجد هافيا نتداوله الابدي ثم بحثنا في دار الكتب السلطانية والمكتبات الخصوصية فلم نثر على شيء منها وفيما كنا نقلب في اثار جدنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن الهراوي بك وقع في يدنا كتاب بعيد العهد بعيد الطبع موسوم بعنوان (التصريف) لمؤلفه ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وهو الجزء الحادي عشر من ثلاثين جزءاً من الكتاب كله وهذا الجزء وحده هو ما سنجعله موضوع بحث اليوم

ولقد بحثنا كذلك كثيراً عن تاريخ هذا الكتاب وتاريخ مؤلفه بالتفصيل فلم نثر على شيء منهما اقرباً في الكتب العربية وعثرنا على نصف قليلة في الكتب الانكليزية والفرنساوية خلا كتاب مسيو لكارك (تاريخ الطب عند العرب) فانه والحق يقال وفي البحث حقاً مستنداً فيما يقول على مرأى العين او ادنى المصادر

(١) ملاحظة في تاريخ الجراحة عند العرب وعمل الزهراوي القيت في الجامعة المصرية في ٢ مارس سنة ١٩١٧

ولما بحثنا عن الجراحين وجدنا ان ابا القاسم يعد في طليعتهم بل هو الوحيد في فيه
وكتابه هو الفريد في بابيه وسنرى انه حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى وانه كان اساساً
متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة التي كلما اخذت في التقدم وهي لا شك آخذة رجع
معظم الفضل فيها اليه . ويحمل بنا قبل الدخول في الموضوع ان نسوق هنا نبذة عن
الزهرابي وكتابه

ولد ابو القاسم في الزهراء باسبانيا سنة ٩٣٦ هـ او ١٠١٣ م . ولقد كان هو المثل
الاعلى في الجراحة عند العرب في القرون الوسطى وكان هو والوزير عيسى بن اسحاق الطيبين
الناغبين في العلوم والمعارف وكان بيتهما دار ندوة يحضرها ذوو المكانة من الاخصاصيين
في الرياضيات والطبيعات والفلك وغيرها وكان كلاهما الطبيب الخاص للامير عبدالرحمن
وكان بيتهما مفتح الابواب للسائلين وطلاب العلم وطالبي التدوي بالليل والنهار . وكان ابو
القاسم وحده مشهوراً بطبه ونبوغه في الجراحة في الشرق والغرب . غير ان هذه الشهرة
كانت من دواعي الحطة عند العرب لانهم كانوا يمتقنون الجراحة والمشتغلين بها كما حدثنا
هو بذلك في نفس الجزء الواقع بين ايدينا . قال « ان السبب الذي لا يوجد من اجله
صانع ماهر في العمل اليدوي انه ينبغي لصاحبه ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح
الذي وضعه جالينوس الخ . ولذلك قال ابقراط ان الاطباء بالاسم كثير والحقيقيون
قليل جداً »

اما مؤلف ابي القاسم فيقع كما قدمنا في ٢٠ جزءاً ترجمت جميعها الى اللاتينية غير انه لا
يعرف بالضبط تاريخ السنة ولا اسم المترجم الذي نقله ولكن المسيو جيراردي جريون ترجم
في القرن العاشر الجزء الاخر المتعلق بالجراحة ولا يدلنا هذا على انه ترجم الكتاب باجزائه
جميعاً . قال لكلاارك وفي مكتبة باريس (١٤٣٩٠) رأينا الجزء الثالث وترجمة الجزء
الاول والثاني تحت عنوان باللاتيني هو (ليتي تيوريكا تك ن بركتيكا) اي النظريات
المجردة لا العمليات للزهرابي والجزء ٢٨ تحت عنوان (ليبرسرفيتورس) وقد طبعت هذه
الاجزاء . وترجم الجزء الخاص بالعقاقير والاقرباذين (تيرا بوتيك) . ولقد رأينا دائماً
مؤلفي القرون الوسطى يحملون القارئ على الزهراوية او كتاب المركبات الاكبر (انتيديوير)
ومما لا خلاف فيه ان كتاب التصريف ظهر بأكمله تحت اسم الزهراوية وقسم الى ٢٠
جزءاً وموجود برقم ٧٠١٦ من القسم اللاتيني . فالجزء ١٦ من التصريف هو الخاص
بالاطعمة المختلفة في الامراض المختلفة . وفي كتاب المفردات لابن البيطار مقتبسات جمّة

مذكور بجانبها انها مستخرجة من كتاب الزهراوية . وابلغ هذه الاقتباسات كيفية صنع الخبز المركب من احسن انواع القمح والذي يخمر ويكون خفيفاً خالياً من الشوائب

وفي القرن الرابع عشر اخذ دي كلوديس الذي يعد عظيماً في الجراحة عن كتاب الزهراوي ما يعد اساساً لما كتبه هو . على انه استشهد في كثير من المواضع بكتاب المركبات وقد ذكر بالاسم الجزءين ٢١ و ٢٣ وذلك يدل على ان مجموعة الكتاب كانت تامة في عهده . وفي القرن ١٥ رأينا مقتبسات من الزهراوي عند طبيب طلياني (فراري) او (شوددي جراديليس) وكان في اكثر مواضعه يستشهد بكتاب الزهراوي الخاص بالطبعة او الاغذية . وفي القرن عينه نشر الطبيب الطلياني (سندس دي اردوزيريس ده بيزارو) كتاباً خاصاً بالسموم . وفي كل صفحة منه اسم ابي القاسم ويدلنا ذلك على ان المؤلف كان يملك ترجمة التصريف بأكمله . وفي هذا المؤلف معلومات مأخوذة عن الزهراوي لا نقل عن نصفه . بل الذي يؤكده ان (سنتس) هذا كان يملك التصريف كاملاً ان كثيراً من اقواله مأخوذة من الاجزاء ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٧ و ٩ و ١٣ و ١٥ و ١٧ و ١٨ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٠ . اما الجزء الثاني ففي العمليات (براتيك) و ٣ و ١٥ فللادوية المركبة وهذا هو السبب الذي اطلق على الكتاب اسم (جراند انتيدوتير) لان معظمه في مركبات الادوية

وفي سنة ١٦٠٩ طبعت مكتبة شنك (لايبلاشنك) هذا الكتاب ونعلم انه ظهرت ترجمتان لكتاب التصريف في القرن السابع عشر ولكن لا نعلم ان كانتا تامين او لا على ان المؤلفين العرب وان ذكروا لنا كتاب التصريف لم يعطوا معلومات وافية عن اجزائه ولم يذكروا الا الجزء الخاص بالجراحة ولكن يستدل من عدة تراجم لاتينية ان الجزء العاشر او الحادي عشر هو الخاص بالجراحة . وقدم لنا المسيو برر نسخة خطية صغيرة ولها ان الجراحة في الجزء العاشر . اما نحن فنقول ان الجزء الذي لدينا هو الحادي عشر وهو الخاص بالجراحة ولا ندري ان كان هناك جزء آخر خاص بهام لا وها هو امام من يريد الاطلاع عليه . قال لكلاكرك : وقد بحثنا كثيراً في مكتبة باريس في القسم العبري فلم نجد فيها اكثر من نصف الكتاب . اما ابن البيطار فقد اقتبس من الزهراوي اكثر من غيره على انه لم يعينه . وبين الاجزاء الموجودة كما يأتي فمر ٩٥١ و ١١٦٥ و ١١٦٧ و ١١٦٨ تحتوي على الجزئين المسميين النظريات والعمليات . و ١١٦٣ تحتوي على الاجزاء من ١٨

الى ٣٠ . ونمرة ١١٦٤ تحتوي على الاجزاء من ١١ الى ١٦ . ونمرة ١١٦٢ هي كشف
باسماء الاجزاء ومحتويات كل واحد . وعليه فمكتبة بارس فيها الاجزاء التالية بالعبري
و ٢ ومن ١٨ الى ٢٠ والمكتبة البليينية هي اسعدها حظاً لانها تحتوي على الكتاب كاملاً
تحت نمرة ٤١٤ و ٤١٥ . وهالك بيان محتويات الاجزاء

الجزء ٢٦ يحتوي على نظام الطعام في حالتي الصحة والمرض وعنه اخذ ابن البيطار
ومثيو ده جراد ببوس . والجزء ٢٧ يحتوي على الادوية البسيطة والاذنية مرتبة على حروف
المجيم وترجم (شن سوب) هذا الجزء بالعبرية في مرسيليا في القرن ١٣ . والجزء ٢٩ يحتوي
على تحويل الموازين وعلاقتها بالمقاييس . وجميع الاجزاء المتقدمة هي خطية اما المطبوع
فاليك بيانه :

جزء النظريات والعمليات وهو الاول والثاني اما الاول فيحتوي على النظريات او
عموميات في الطب وفيه ١٦ فصلاً والجزء الثاني يحتوي على العمليات في الامراض من
الرأس الى القدم الا الفصول الاخيرة فتحتوي على فصل (٢٦) تدبير الاطفال وفصل (٢٧)
تدبير المسنين وفصل (٢٨) في الرومانيزم وفصل (٢٩) في الدمايل والحراريج وفصل (٣٠) في
السموم وفصل (٣١) في الامراض الظاهرة (الجلدية) وفصل (٣٢) في الحميات

وجزء ٢٨ تحضير الادوية البسيطة ترجمه الى اللاتينية ابراهام اليهودي وسينده جين .
وقد رد احد المسلمين او اليهود النسخة العبرية الى اللغة العامية واحد الادباء حوله الى
اللاتينية . واسم هذا الجزء باللاتينية (سرفيتوريس) وهذا العنوان ليس لهذا الجزء في
الحقيقة بل هو للاجزاء السابقة الخاصة بالادوية المركبة وهو ما سماه اهل القرون الوسطى
(جراند انتميدوتير) . وكتاب سرفيتوريس طبع مراراً وهذا هو عنوان الطبعة المحفوظة

بباريس نمرة ١٤٧١

واقدم قسم المؤلف الادوية البسيطة الى ثلاثة انواع معدنية ونباتية وحيوانية . وفي
هذا الكتاب معلومات رائعة عن تاريخ المادة الطبية وتاريخ الكيمياء والفنون الصناعية .
ولابن العوام كتاب في الزراعة قال فيه انه ليس احسن من طريقة الزهراوي في استخراج
ماء الورد ونقل عنه ابن البيطار في كتابه المفردات كيفية استخراج الزيت

ووصف الزهراوي بدقة كيف يصنع قالب من الابنوس او البقس او العاج ينقش فيه
اسم الاقراص ونسخة بارس الخطية (١٠٢٣٦) اظهرت لنا شكل هذه القوالب غير اننا
لم نجدها في النسخ المطبوعة . كذلك وجدنا في الخطية المذكورة رسم المرشحات ولم نجدها

في المطبوع. واذن يكون الزهراوي اول من احدث رسم الاشكال في مؤلفه الجراحي وقد اخذ يزرع من بعده الى اليوم. ونضيف الى ما تقدم ابى القاسم لم يقتصر على تحضير الادوية بل انه اشتغل فوق ذلك في كيفية حفظها وعين معدن الاوعية التي توافق كل واحد منها. وصفوة القول ان كتاب سرفيتوريس هو اهم عمل في مجموعة ابى القاسم ويستحق ان يكون هو المرجع على الدوام. قال لكلاارك ونظن ان هناك نسخة عربية في متحف انجلترا فقد وجدنا به تحت نمرة ٩٨ عنوان كتاب منسوب الى الزهراوي وهو خاص بتحضير العقاقير وابتداء فيه على طريقة سرفيتوريس حيث قال: اعلم ان الادوية ثلاثة انواع معدنية او نباتية او حيوانية. ولقد قرأنا هذا النص بعينه في نسخة عربية عبرية في باريس تحت نمرة ١٢١٣ ورأيناها مكتوبة بالعربية وبالحروف العبرية غير ان فيها ذكر الادوية البسيطة وما هي هنا الا للوصول بها الى المركبة فالعقاقير وامم المؤلف غير مذكور ولكن الكتاب مستمد من التصريف

اما جزء ٢٠ الخاص بالجراحة فلا جرم انه الذي نبه به ذكر ابى القاسم وهو الذي له النزلة العظمى في تاريخ الطب. قلنا انه هو الجزء الخاص بالجراحة وهو الاخير من التصريف غير ان في ذلك خلافاً فهناك نسختان عربيتان في مكتبة بدلين احدهما نقول انه العاشر والاخرى انه الحادي عشر والنسخة الخطية للسيو برون وهي كراسة مختصرة نقول انه العاشر وكتاب نور العيون الموجود بنمرة ١٠٤٢ بالمحقق العربي بمكتبة باريس تارة نقول انه الثلاثون وتارة انه العاشر. والنسخة العربية بباريس تعينه انه الثلاثون والترجمة اللاتينية الخطية والمطبوعة نقول كذلك. وفي وسط القرن الثاني عشر ترجم جرارد ده كريمون بعليلة جراحة ابى القاسم الى اللاتينية وبعد قرن ترجمه الى العبرية شيم توب وترجم كذلك في عدة جهات وتوجد منه نسخة في مكتبة مونبلييه. والفضل لهذه التراجم في انتشار الجراحة في القرون الوسطى. وبعض كتاب ذلك العهد اعترفوا بما اخذوه عن هذا الجراح العربي العظيم والبعض اقتبسوا منه وادمجوه مشتركاً في اعمالهم

ونقل هنا نبذة مفيدة عن كتاب تاريخ الآداب بفرنسا قال: ان في تاريخ الجراحة بفرنسا في النصف الثاني للقرن الثالث عشر امرأ يسترعي الانظار وذلك ان كثيراً من اطباء الطليان غادروا وطنهم على اثر الفن التي اثارها الجلفيون والجلبليون وجاءوا الى فرنسا يجتمعون بارضها وجلبوا معهم مؤلفات ابى القاسم وتعاليمه. وابو القاسم هذا هو الطبيب الاسباني المشهور الذي يعد الزعيم الاكبر للعلوم الطبية

ابتداءً ذلك عند وصول حكيم طلياني اسمه (روجر ده برم) من مدرسة سلزن ثم عقبه كثيرون منهم لانفرانك الذي وصل باريس سنة ١٢٩٠ وقد قال : لقد كان جراحو فرنسا كلهم على وجه التقريب جهلاء لا تكاد تفهم لغتهم اغبياء الى حد انك لا تجد جراحاً يطبق اصول الصناعة . ثم قال ولا يعتورنا الدهش اذا وجدنا المدارس الفرنسية تضع ابا القاسم في صف واحد مع جالينوس وابقراط

وينقسم الجزء الذي نحن بصددده الى اقسام ثلاثة (١) الكي (٢) العمليات واسلحتها (٣) الكسر والخلع . والذي جعل لهذا الكتاب اهمية عظيمة وأذاع صيته هو بلا شك انه احدث رسوم الآلات التي لم تكن مستعملة الى وقته بجانب الكلام عليها وهي لا نقل عن ١٥٠ اشكلاً الى ٢٠٠ شكل . قال لكارلارك الذي ننقل عنه هذا القول : نقول هنا ان اساس جراحة أبي القاسم هو الجزء السادس من كتاب بول دوجين و يأخذك العجب من ان هذا الاسم لم يكن مذكوراً في الزهراوية ولا هذا الاصل معيناً فيه ولكن يبطل عجبك اذا علمت ان تلك كانت عادة عادة العرب في طريقة تأليفهم . فانهم كانوا يدجون ما يأخذونه عن الغير من دون تعيين في عملهم الخاص الا اذا كان المأخوذ عنه رجلاً ذا شهرة عظيمة مثل ابقراط او جالينوس وهم في عملهم الادبي مثلهم في العلمي ولقد جرى على هذه الطريقة كل من روجر ده برم وجليوم ده ساليست عند ما اخذوا عن ابي القاسم الزهراوي

وقد كان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع ما دلت عليه تجاربه العلمية العملية ودليلاً على ذلك الفصل المعقود خاصة لاستخراج السموم . واوصى في رأس كتابه بضرورة معرفة التشريح لانه بمثابة قاعدة للجراحة . وان لا يندفع الطبيب في العمليات الجراحية الصعبة دفعة واحدة وقال ان جهل التشريح جرّ الى نتائج وخيمة . ومها يقل في هذا الكتاب فان القول فيه ناقص فلقد قرر رأي جميع المؤرخين على الاعتراف باهميته وعلى انه كان عمدة نجاح هذا الفن

وهاك ما قال المؤرخون عنه : فقد ذكره جوي ده شولياك اكثر من مائتي مرة . وقال فبريس دكابنداتي انه هو المثل الاعلى للعلم . وهولز انه اول من ربط الشرايين قبل امبرواز باريه . وبوستال انه اول من استعمل السنارة في استخراج البوليبوس . وفرند انه هو يحيى الجراحة ثم ذكر له ترجمة مطولة لا تخرج عما قدمناه ولكنه زاد ان ابا القاسم نبه قراءه في كل موضع الى اخطار العمليات منها الاحتيطات الواجب اتخاذها وقد ذكر

وصف ذلك في كل عملية وفي كل حالة . وسبرنجل قال انه هو اول من وصف اجراء عملية الحصة عند النساء وكانت تعملها رئيسة الممرضات تحت اشراف احد الاطباء اما وقد انتهينا من تلك الكلمة المجدلة فسنعرض على الانظار شيئاً من الجزء الواقع بين ايدينا وبين فضل ابي القاسم على الجراحة ذلك الفضل التي يشاطره فيه الناطقون بالضاد قديماً وحديثاً فنقول :

ان الجزء الذي بين ايدينا هو الحادي عشر من كتاب (التهريف لمن عجز عن التأليف) لصاحبه (ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي) وهذا الجزء مطبوع سنة ١٧٦٢ م بواسطة كازيري ميخائيل قصيري

والذي يقرأ هذا الجزء في العمليات الجراحية يرى كيف تدرج العلم الصحيح من مبدئه منذ زمن المؤلف الى الوقت الحاضر وكيف كان التدرج في البحث والاستقصاء . فقد كان في زمنهم قاصراً على الحواس الخمس من حس ولمس ولم تكن المباحث العلمية معززة بتجارب الاكتشاف والاختراع . نعم ان المؤلفين في عصرهم كانوا يعلمون ان الاوعية تنقسم الى قسمين الشريان والوريد ولكن التمييز بينهما كان من الصعوبة بمكان . فان جل ما كان يميز الشريان عندهم انه العرق النابض والوريد انه العرق الساكن

والعمليات هنا تنقسم الى ثلاثة اقسام وهي اليكي واستعمال المشروط من شق وفصد واستعمال التجبير وما يخص بالعظام . وقبل ان نتكلم عن هذه الاقسام نذكر كلمة عامة عن الآلات الجراحية على وجه العموم . فقد كانت تصنع هذه الآلات اما من الحديد او الذهب او النحاس ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفه في آلات اليكي مثلاً كان ابو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب بعلّة ان اليكي بالحديد أحسن وافضل من الذهب لانك اذا احميت مكواة الذهب في النار لم تعلم درجة حماوتها بسبب لونها ثم انها تبرد سريعاً واذا اشتدت الحرارة صهرت وذابت فلذلك صار اليكي بالحديد عندنا اسرع واقرّب للصواب

نريد الآن ان نطبق احداث الطرق العلمية على كلام ابي القاسم الذي كان يعتمد على حواسه الخمس في البحث واستقصاء افضلية الحديد على الذهب فنجد انه على حق في قوله ان لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التي تريدها هل هي الحمراء أو البيضاء مما لا يتيسر معرفته في الذهب في غير الظلام والمعروف في الطب ايضاً ان اليكي يكون على درجة

الحرارة الحمراء فانها تكوي المكان كيمًا موضعياً فتزيل الاثر الذي تريد ازالته وأما البيضاء فان المعادن تكون فيها كالمشرط تقطع ولا تكوي

أما النقطة الثانية وهي انها تبرد سريعاً فمن المعلوم ان درجة حرارة الذهب النوعية هي ٠.٣٢٤ والحديد ٠.١٣٨، ولذلك نجد ان هؤلاء الناس الذين كانوا يعتمدون على حاسة النظر فقط لم يخطئوا نظراً في ٠.٨١٤ من درجة الحرارة

أما النقطة الثالثة وهي الصهر فقد كفلت الطبيعة ايضاً صدقها اذ ان درجة صهر الحديد ١١٠٠ والذهب ١٠٦٤ وانا لنعجب من قوة النظر الحادة التي مكنت صاحبها من الشعور بفرق ٣٦ درجة حرارة بعد الالف

أشكال الآلات — قلنا ان العمليات تنقسم الى ثلاثة أقسام الكي والبط (البتر) والشق غير عمليات أخرى متنوعة . ومن هذا التقسيم يظهر ان أشكال الآلات يختلف اختلافاً كبيراً جداً

فآلات الكي تختلف — (١) باختلاف المكان المراد كيه . (٢) باختلاف العنصر المراد الكي به . (٣) باختلاف اتساع الكي

فاذا كانت الاماكن ظاهرة اختلفت اشكال الآلات باختلاف شكل الجزء من الجسم المراد كيه

وهذه هي أشكال الآلات :

- (١) المكواة الزيتونية لكي الرأس والمواضع المسطحة . (٢) المكواة القرنية في كي الرأس اذا أريد التأثير في العظام . (٣) المكواة المشمارية في كي الرأس لوجع الصداع .
- (٤) النقطة في المواضع الضيقة (٥) المنشارية في كي الحاجبين والانف لنتانته . (٦) الهلالية في كي جفن العين عند استرخائه . (٧) القمع في كي النواصير . (٨) السكينية للشفة .
- (٩) مكواة الاسنان للاسنان . (١٠) ذات ثلاث الشعب للرئتين . (١١) ذات السفايفد خلع العضد . (١٢) مكواة المعدة . (١٣) الميل لتدخل الى الكبد . (١٤) المشمارية الظهر . (١٥) مكواة للفتق . (١٦) الآلات لكي سائر الاعضاء

- المشارط — (١) المبضع لشق الخواريح . (٢) مبضع الساج لتشريح الجلد مما تحته .
- (٣) مبضع آخر للساج غير حاد

الجفت - (١) الجفت اللطيف للاشياء التي في الاذن . (٢) جفت آخر . (٣) مخن فضة لحقن الاذن . (٤) مبضع لفتح الاذن . (٥) الصنانير . (٦) لعملية شعرة التلاحين . (٧) المبضع الاملس للعيون . (٨) الاملس ضعف الحاد للعيون . (٩) آلة الجرد (الكحت) . (١٠) البريد . (١١) المقدح ويستعمل لماء العين . (١٢) الكلابب . (١٣) اللوزتين من فضة . (١٤) قاطع اللوزة (اسنانها حادة كالسكين) . (١٥) جفت الحلق . (١٦) مسبار (انواع) . (١٧) صنانير (انواع) . (١٨) مشارط لسلح الاورام

الكى - اما الكى فقد كانوا يستعملونه في اكثر الامراض في الاورام على كافة انواعها وفي كل عضو من اعضاء الانسان ولكى ادوات كثيرة منها النار ويعتبرها افضل لانها جوهر مفرد ولا يتعدى فعله العضو المكوي ولا يضر عضواً آخر متصلاً به على عكس الدواء المحرق فانه يتعدى فعله الى ما بعد الاعضاء وربما احدث في العضو مرضاً نفعسر مداواته وربما قتل . وهذا يطابق تماماً التفسير الحديث الذي يقول ان هذه الادوية المحرقة قد تمتص السموم الى جميع اجزاء الجسم وقد تكون بداية تعفن . وقد كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً ان الكى هو آخر ما يلجأ اليه المطيبون اذا اعيتهم الحيل في العلاج وعلى هذا قالوا ان الكى آخر الطب وشاعت هذه الجملة على الالسنه ورددتها المؤلف في عدة مواضع ومنها المثل العربي المشهور وهو آخر الدواء الكى . وفي الحديث الشريف عن البخاري انه قال : الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكى . ولا ارى الآن ان افصل مواضع الكى وطرق عمله ولكن سنذكر اهم هذه الاشياء ان المعروف في احدث الكتب الطبية ان الحرق له ست درجات ولكن عندهم كانت له ثلاث درجات

اولا : ان تحرق الجلد فقط

ثانياً : ان تحرق الجلد وشيئاً من اللحم (الشحم والانسيجة التي تحته)

ثالثاً : ان تحرق كل شيء حتى العظم

واما الكى بالكى بالدواء المحرق فهو ان تأخذ فص ثوم وتدقّه وتضعه في جرح تشقه تحت الجلد وتتركه خمس عشرة ساعة او بضعة الخردل . ويستعمل الكى في وجع الاذن وفي القوة او شلل عصب الوجه وفي السكتة المزمنة والفالج والصرع والملاخوليا والماء النازل

في العين والدمع المزمن واسترخاء جفن العين وفي الشعرة . وهذه الطريقة هي ان تكوى كبة كورقة الآس وفي كي الناصور الذي في مآقي العين وهذه طريقة حديثة وفي امراض الرئة والسعال وضيق التنفس وفي امراض المعدة والامعاء

وقد كانوا يستعملون فيه كل ضروب الصبر والجلد مما لا يتصور ان يتحملة انسان فان خراج الكبد كانت طريقة العلاج المستعملة فيه ان تحرق بمكواة جميع الطبقات المكونة لجدار البطن حتى تصل الى الكبد ثم تحرق نفس الكبد حتى يخرج الصديد وقد يضطر الجراح لتغيير عدة مكاول اذا بردت وبالطبع مثل هذه العملية تكون خالية من اي تعفن وتستعمل نفس هذه الطريقة في استخراج ماء الاستسقاء . ومن العجيب ان لا يلهمو كي البواسير نفسها حتى تقطع بل يكونون في الظهر وفوق المعدة وكي عرق النساء سواء بالنار او بطريقة جالينوس بالشيوطر الاخضر وكذلك كان ديسقوريدوس يكوي ببيعر الماعز ويستعمل الكي ايضا في الحذبة . واكبر انواع الكي شناعة هو كي الفتوق اذ يستلقي المريض على ظهره ويجلس على صدره وبطنه واطرافه مساعدوا الجراح ثم هو يمسك المكواة المحماة على شكل نصف دائرة ويرفع الثرب الى البطن ويمسك الامعاء ان تنزل ويحرق مكان الفتق حتى العظم وربما يضطر الجراح الى تغيير عدة مكاول لانها تبرد ويجب ان يبلغ العظم والا كانت العملية غير ناجحة . ومكواة الصبيان اصغر والعلاج بعد العملية ان تدهن بالسمن وعقاقير اخري حتى يبرأ الجرح ويبقى المريض مستلقيا على ظهره من ٤٠ الى ٨٠ يوما ويستعمل الكي ايضا في السرطان اذا كان مبتدئا ويراد ايقافه ويخشى المرء كثيرا من نقرحه واحسن مواضع الكي كانوا يستعملونه في الاكلة اي الغنغرينة وهو فساد يسي في عضو ويخشى على الباقي بل على الحياة منه وفي الزوائد التي تحصل في القدم واجمل استعمال الكي هو في ايقاف النزيف الحادث من قطع شريان وطر يقته ان تضع اصبعك السبابة على الشريان المقطوع وتحصص الدم تحت اصبعك ثم تكوى المكان بعد رفع اصبعك عنه ويمكن تغيير المكواة اذا بردت من سيل النزيف

طرق ايقاف النزيف قديما

(١) بالكي . (٢) بقطع نفس الشريان فتتقلص اطرافه . (٣) بان تربطه بالخيطوط ربطاً وثيقاً . (٤) بوضع الرفايد . (٥) بالضغط بالاصبع . (٦) بالماء البارد وكل هذه مستعملة الى الآن الا الثاني منها

أما الطرق المستعملة الآن فهي (كما ذكر في كتاب بيز)

- (١) الضغط بالأصبع . (٢) ربط العضو من جهة القلب . (٣) ربط الشريان المقطوع .
(٤) جفت الشريان وهو أهم شيء في الجراحة . (٥) لي الشريان . (٦) والشد بالرفايد
فما انفرد به أبو القاسم من العمليات الجراحية :

جراحة الشرايين — كانوا يستعملون هذه العملية في قطع الشريان الذي في الاصداع
لداواة الصداع وسنقل وصف أبي القاسم لها لأنه أول من ربط الشريان كما تقدم : —
السلخ الجلد برفق حتى نصل الى الشريان ثم تلقي فيه صنارة وتجذبه الى فوق حتى تخلصه من
الصفقات التي تحته من كل جانب فان كان الشريان رقيقاً فتلويه بطرف الصنارة ثم تقطع
منه جزءاً بقدر ما يتباعد طرفاه ولا يحدث نزيفاً فإنه اذا بتر وانقطع لم ينزف الدم
ثم استفرغ من الدم من ٣ الى ٦ اواق وان كان الشريان عريضاً فينبغي ان تربطه في مكانين
بخط مني قوي وليكن الخيط من ابريسم او من اوتار العود لثلاثا يسرع اليها العفن قبل
الثام الجرح فيحدث النزف ثم اقطع ما بين الرباطين وان شئت فأكوه ثم احش الموضع
بالظن البالي وضع الرفايد المحكمة

وأول من استعمل هذه الطريقة هو أبو القاسم وهي لا تزال مستعملة الى الساعة
قال روز وكارلس في كتابهما بعد وصف مطول في كيفية تنظيف الشريان : وضع ابرة
ليورزم أي صنارة ذات طرف مثقوب وحركها الى اعلى واسفل حتى تخلص الشريان
تماماً وحوله وبعد انفاذ الخيط فيها انزعها من مكانها واربط الشريان . والقسم الاخير
من كلام أبي القاسم ينطبق على مبادئ علمية عصرية فهو يوافق ما في الكتب الحديثة
من ان مضاعفات ربط الشريان اسراع التعفن وحدوث النزف بعده وهو المعروف
بالنزف الثنائي

قال لكارل ان ابا القاسم هو أول من استعمل ربط الشريان لايقاف النزف ونحن
نقول انه أول من ادخل الابريسم او الحرير في ربطه وأول من ادخل أوتار العود فيها
ايضاً وهي مصنوعة من جدار امعاء الغنم وهو ما يتخذ منه الخيوط الجراحية في الوقت الحاضر
وكلا هذين النوعين من الخيوط يستعمل الى الآن وفوائدها ليس هنا موضع شرحها ولكن
أبا القاسم يلح اليها انها مما لا يسرع اليه العفن

عملية استخراج الحصى — هذه العملية هي التي ابتدعها أبو القاسم ونقلها من الكتاب
الموجود بآبديننا ص ٢٨٢ وطريقته فيها ان يجلس المريض ويضغط الحصى مساعد الجراح

على مثانة المريض وهو بين يدي الجراح نفسه ليحصر الحصوة عند عنق المثانة ويضع الجراح اصبعه في مقعدة المريض ويضغط الحصوة أيضاً ثم يشق فيها بين المقعدة والخصيتين لافي الوسط ولكن الى جانب الالية الایسر ويكون الشق على نفس الحصة ويضغط على الحصوة بالاصبع الى الخارج ويكون الشق مورباً أو عريضاً من الخارج وضيقاً من جهة المثانة وتخرج الحصوة بالضغط ثم قسم الحصى على حسب شكلها لا تركيبها فوصف ذوات الزوايا وذوات الحروف والمساء ثم قال فاذا لم تطاوعك الحصى فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفه كالبرد ليضبط على الحصى واذا كانت الحصة كبيرة جداً فثايل على كسرها بالكلايب حتى تخرجها قطعاً

وتعرف عملية ابي القاسم اليوم باسم خرق كوكس (Cox Puncture) وتستعمل في مواضع اخرى غير الحصوة بقليل من التصرف

نقول ان عملية الجراح العربي لازالت تعمل الى اليوم بقليل من التصرف كأن يكون الشق على مجس يوضع في المثانة سواء كان الشق في الوسط أو الى أحد الجانبين وقد زاحت هذه عملية أخرى في إخراج الحصوة من جهة البطن في النصف الاخير من القرن الماضي ولكن عملية أبي القاسم ما زالت حافظة لکیانها وله نخر ابتدائها خصوصاً في تفتيت الحصوة قبل اخراجها . وله نخر احداث كلايب تفتيت الحصوة التي ترفت الى حد عظيم

كذلك عملية الشق في اخراج ما يسقط في الاذن مما لا يزال استعماله الى اليوم وبالمثل طريقة غسيل الاذن بالمحقن . وهذا المحقن كان يصنع من النحاس أو الفضة وكذلك استعمال الماء المالح في غسيل الجروح التي يخشى من تفتيحها وهو ما يفضل استعماله الى اليوم لانه يدر فیضان المصل في الجرح فيفسله ويمنع تعفنه

جراحة العيون (علاج الشعرة) : (١) الكي بالنار . (٢) الكي بالدواء المحرق .

(٣) القطع والخياطة . (٤) بقصب الغاب وتلك مستعملة الى اليوم

أما القطع والخياطة فذلك ان تقطع من فوق ظاهر الجسم شكل ورقة الآس ومن باطنه شقاً واحداً ثم تحيط التي في الظاهر والفرق بين العمليتين القديمة والحديثة ينحصر في عمق الشق وفي ان يقطع شبه ورقة الآس في الغضروف الموجود بالجنف دون الجلد الظفرة وعلاجها — أن تدخل ابرة تحتها وترفعها ثم تدخل تحتها شعرة خيل ثم اسلخ

بالشعر جانب الظفرة الذي يلي الحدقة كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها ثم اقطع الباقي أي الذي ليس على الحدقة بموضع ويمكن سلخها بالمبضع الاملس وهذا الاخير هو المستعمل

الى اليوم . وهذه العملية لا يزال استعمالها الى اليوم وغاية ما في الامر أن لا تقطع الظفرة كلها بل اقطع الجزء الموجود على القرنية والوه تحت المنحمة . والنقطة التي تستحق العناية هي طريقة القطع اولاً والمبضع ثانياً وهو لا يزال مستعملاً الى الساعة

علاج السيل في العين — هي عروق دموية تمر فوق القرنية تلتقط بالصنارة ثم تقطع كل واحد بالمقص وتعمل هذه العملية الآن بالمشروط

الجرد — طريقته واستعماله وآلته كالحديث تماماً

الكيسة : (المدة الموجودة خلف القرنية) — تشق القرنية بمبضع رقيق في الاكليل وهذه العملية بنصها وفصها في الكتب الحديثة

في علاج الماء النازل في العين — خذ مقدحاً وادخله في الاكليل حتى الماء ثم اكبسه الى أسفل فان المريض يرى من ساعته وهذه لا تستعمل الا في النادر لان لها مضاعفات جمة ولكن المقدح لا يزال من الآلات الحديثة

الحم الزايد في المثانة ويسمونه ايضاً ايوليس — يقطع ويكحت مكانه اويكوى

جراحة الاسنان — الخلع بالكلايب ونشر الاسنان الزائدة وتشبيك الاسنان المتحركة بخيوط من ذهب

في قطع اللوزتين — يكبس اللسان بالته ثم تغرز صنارة في اللوزة وتشد الى خارج ثم تقطع بالة كالمقراض . وهذه عملية حديثة ايضاً ولكن جرى كثير من التعديل في شكل الآلات

وبما يستحق الذكر ان المؤلف كان يروي تجاربه الشخصية وما كان يصيبه من الصعوبات وكيف ذلها . وهذه طريقة حسنة لا تزال مستعملة حتى اليوم . وكما يستأصل أورام اللوزتين كذلك تستأصل أورام اللهاة على الطريقة عينها

الاورام — غير المكرو سكوب اليوم وجه الطب من القديم الى الحديث فتقسم الاورام اليوم مكرو سكوبي محض أما في زمن المؤلف فكانت تختلف باختلاف محنواياتها من سائل او بليس والجهة من الجسم التي فيها المرض فان الورم الذي يحدث في الرأس قسم بذاته غير الذي يحدث في المعدة والورم الذي يحدث في جسم الحي غير الذي يحدث في مفصل . ومن الاورام ما يبط او يشق ومنها ما يقطع عليه قطع كورقة الآس أو شكل هلامي أو ذي ثلاثة شقوق أو ما هو مستدير وينبغي اذا كان الورم عظيماً أن يفرغ ما فيه من

الماء او الصديد على عدة مرات لاسيما ان كان المريض ضعيفاً او مسناً ويحش مكانه بالقطن البالي فان عرض نزيف يغسل بالماء البارد او الخل وبعض الاحيان بالخمير وينهى عن استعمالها لانها محرمة

قطع القصة الهوائية - تشق تحت ثلاث او اربع دوائر من القصة بالعرض بين غصروفين في الصفاق ويخيط الضروف في الجلد

علاج نتو الشرايين او الانيوريزم - كانوا يستأصلونه بين رباطين وكذلك كانوا يستأصلون سرطان الثدي بشق هلاكي ويعالجون فتاق السرة بادخال الامعاء الى البطن بعد فتح الثرب ثم عقده بانشوطة وربط اي شريان يعمق العمل ثم يشد الورم في اربعة مواضع ويترك حتى يتعفن ويسقط من نفسه وكانوا يستعملون طريقة البزل في الاستسقاء بادخال أنبوبة حرقها مبري كبرية القلم بعد شق جدار البطن وهذه لا تزال مستعملة الى الآن

كيفية شق الادرة المائية او القيلة - طريقة الشق واخراج الخصية كاحسن الطرق المعروفة الآن وانما كان أبو القاسم يفضل قطع الصفاق بأكمله وهذا لكيلا لا يعود الماء وذلك ما يوصى به اكثر الجراحين أما عملية الفتاق الجراحية فهي ان تشق عليها وتدخل الامعاء الى البطن ثم تستأصل كل ما هو امامك من خصية واوردة وما اشبه ذلك بعد ربطها من جهة البطن ثم يشد الجرح بالرفايد بعد الربط الوثيق ولكن هذه العملية قلما كانت تعمل والمفضل هو طريقة الكي التي شرحتها آنفاً

وصفة القول ان العرب لهم الفضل الاكبر في الجراحة على العالم الحديث لانهم حفظوها الى اليوم ولولا ما حرق او التقي في الانهار من الكتب الاسبانية العربية لوجدنا امثال هذا الكنز الذي نخفل به الآن وكان الفضل في ايجاده بايدينا هو لجدي المرحوم الشيخ محمد المراوي الذي كان محرراً لاول كتب عربية طبية لمدرسة قصر العيني الطبية في عهد المغفور له محمد علي باشا وحفظه من بعده شقيقه المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك المراوي وكيل قصر العيني سابقاً حتى وصلت اليها اثرأ صالحاً لظهار فضل السلف

الدكتور

الصالح

حسين المراوي

اجسام غريبة في المعدة

ما عرف عن حيوان اساء الى معدته مثل الانسان والشواهد على ذلك كثيرة لا تكاد نحصى وما من طبيب الا اتفق له ان شاهد مرضى عانوا ما عانوا من العذاب والالم بسبب اكلة طاب لم مذاقها ولم تكن كذلك لمعدتهم . ونذكر اننا عدنا جزاراً مريضاً في بلدة انه بلبنان فوجدناه يشكو الماً حاداً بمعدته كانت فوق مرتبة الاحتمال وبعد الفحص والاستقصاء قدرنا انه مصاب بسوء الهضم والانسداد المعوي . وقص علينا السبب فقال انه اكل في ذلك اليوم لحمًا مشويًا ونيثًا اكل منه مقداراً خجل ان يقدره لنا ولما اسعفناه بقيء كان قد مضى على تناوله ذلك الطعام ست ساعات ولكن المقدار الذي ثقيأه من اللحم ادهشنا حجمه فانه ملاً صحناً كبيراً تقريفة ٣ كيلو غرامات وحجم القطعة الواحدة من اللحم يوازي حجم بيضة الدجاجة

وأخر ما شاهدناه بمصر من هذا القبيل مريض في الجيابة عدناه في اواسط بوليو الماضي فوجدنا فيه اعراضاً تحاكي في ظواهرها اعراض الانسداد المعوي الحاد ولكن الفحص ابان ان الرجل متخم وقد اساء الى معدته بما اكله ولما اسعف بالعلاج ثقيأ طعاماً غير مهضوم فيه قطع كبيرة الحجوم من قشر البطيخ وشيء كثير من بذرتة . وعجبنا كيف انه ابتلع الفشور مع عدم التناسب في حجمها وضيق البلعوم دونها فقد قدرنا قطر القطعة منها بضعة قطر بلعومه وعدناه في اليوم التالي فلقيناه قد خرج الى عمله

واساءة الانسان الى معدته لا تقتصر على الطعام فالمشروبات الكحولية الكاوية التي يكلمها ويجرعها بلا حساب تفعل بالنسيج المعوي فعلها المعروف وليس هنا محل ايراده . ولا تقتصر الاساءة على فئة دون اخرى فالكل يسيء الى معدته بقدر ما تسمح له ظروفه واحواله وقد درج على هذه العادة وهو طفل . فالطفل كما هو معلوم يضع كل شيء قبضت عليه يده في فيه بلا فرق ولا استثناء ولذلك نشاهد حوادث مخزنة جداً في هذه الفئة الصغيرة تكون اسبابها الاهمال من جانب الام او المربية او من الاثنين معاً . ولو انحصرت اساءة الانسان الى معدته بما يتناوله من الطعام للتغذية لكان شرها ولكن من اساءته اليها تعدى الى ما يتلعه من مواد صلبة لا يرجو منها فائدة الغذاء ولا الارواء فهو يتدرج الى ابتلاعها من اللعب والتسلية بها حتى يألف ارسالها الى جوفه بسهولة ومن غير تروء . وقد دلت الشواهد

على وجود اجسام غريبة في المعدة مثل دبائيس ومومى وسكين وملقعة وشوكة وابرة وكستبان ومفتاح وقطع زجاج وازرار ونحوها . ولا يكاد يخلو بسفرها من ذكرها ولا معرض في من عرض الامثلة على تكرار حدوثها في الانسان دون سواه . وليست الغرابة ان نثر على قطعة واحدة من الادوات المار ذكرها فقد دل احصاء تسعين حادثة جمعناها من الكتب التي بين ايدينا ان ثمانياً وستين وجد في كل منها قطعة واحدة فقط واكثر من قطعة في الاثنتين والعشرين الباقية . ومنها مشاهدة وجد فيها ٤٢ مسماراً طول المسمار بوصة و ١٠ واخرى ٩٣ من المسامير الصغيرة و ١٣ زرّاً ودبوس واحد وابرة واحدة . وشاهد الاستاذ كين فتاة عمرها عشرون سنة وجد في معدتها كتلة شعر كتلة بلغ وزنها ٥ ارطال و ٣ اواق وطولها ١٣ بوصة

وورد في المجلة الاميركية في عدد مارس الماضي مشاهدة غريبة للاستاذ جايس عن سيدة اسبانية عمرها ٣٥ سنة مضى عليها اربع سنوات وهي تشكو المآ في القسم السري . وكثيراً ما طلبت الاستشفاء عن يد اطباء معروفين بالامراض الباطنية بلا جدوى بل كان يزداد الالم شدة شيئاً فشيئاً وتدرج من اللدع الخفيف الى درجة لم تعد تحتملها . وقبل انتقالها الى الاستبالية بمدة شهرين بدت عليها اعراض حمى عفنة وتسمم وانحطاط في قواها وخوف زائد من الطعام الجامد لان كل انواع الطعام الجامدة كانت ثقيلة على معدتها تسبب لها المآ اشد مما بها . فكان طعامها اللبن وهذا كان يتعبها ايضاً اذا اخذت منه دفعة كبيرة وكانت اغلب الاوقات تستلقي على ظهرها وتثني رجلها الى بطنها من شدة الالم ولما دخلت الاستبالية كانت الحرارة تتراوح بين ٩٩ الى ١٠٢ بميزان فارنهایت والنبض بين ١٣٠ و ١٣٥ والتنفس بين ٢٠ و ٢٥ في الدقيقة وفي حالة ضعف وهذيان عظيمين وكان البطن منتفخاً انتفاخاً بسيطاً واثبت الجس وجود كتلة قاسية في القسم السري بانحراف الى الشمال والاطراف السفلى وارمة . فعملت لها عملية اسفرت عن وجود ٩٢ دبوساً من دبائيس الشعر في المعدة كما ترى في الشكل . وشوهد في بعض الدبائيس تاكل بفعل عصير المعدة الهاضم . ولعل بما تقدم عبرة وفائدة

الدكتور شخاشيري

طرائف من ادب العرب

(٨)

العقد الفريد لابن عبد ربه

اعرف ادبياً فيه عيبان ظرف قلم قاده غير مرة الى السجن . هذا اول وحرفة الادب^(١) وفي العيب الثاني . قال لي هذا الاديب وانا شديد العجب بأدبه الرائع « قرأت العقد الفريد في سبجي ثلاثين مرة » وهذا يشبه قول الفارابي في كتاب النفس لارسطو « قرأت هذا الكتاب مئة مرة » او قوله في كتاب آخر لارسطو « قرأت هذا الكتاب اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قراءته » . على انك قد تقرأ كتاباً ما ما شئت من المرات فلا تنفع احدك من صاحبه اذا لم تجتمع الى القراءة صدراً واعياً وفواً اذاً ذكياً وهذا الاديب عينه عاد في الزمن الاخير وبعد فوات الفرصة يتحسر على ما كان من إضاعة العمر — والعمر قصير — في قراءة العقد الفريد أو غيره من كتب الادب وبود لو يعيده الله سيرته الاولى اذاً لاكتفي بقراءة الاغاني للاصمغاني حسب ان كل الصيد فيه

لكن هذا لا يقدر في كتاب اتفق الكتاب على وضعه هو وكاتبه في المقام الاول . فقال ابن خلكان في ترجمة ابن عبد ربه « وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء » . ويقال إن أدباً اندلسياً حج وعرج على مصر بعد عودته من الحج فرأى فيها المتنبي فقال له المتنبي « أنشدني المليح الاندلس » أي ابن عبد ربه فأنشده فأنشده المتنبي واستعاده وقال « يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك العراق حبواً » . وإن لم تكف هاتان الشهادتان في بيان مقام ابن عبد ربه في الادب فاعلمه بكفي ان جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب عني باختصار العقد الفريد كما ورد في الجزء الاول من اللسان قبل المقدمة

(١) هذا مأخوذ من قول بعضهم في الخليفة الطيب القلب العاشر المجدد عبد الله بن المعتز :
 لله درك من ملك مضية ناهيك في العلم والعباء والمحسب
 ما فيه لؤ ولا ليت تنقصه وانما ادركته حرفة الادب
 أي الفخر . وقال ابن الساعاتي :

هجرت نظمي له لا من مهاتمي لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال مستشرق انكليزي مشهور في ابن عبد ربه : كان ذا شهرة عظيمة في العلم
والبلاغة . وليس في المكاتب ديوان له ولكن في « يتيمة الدهر » مقطعات كثيرة من شعره .
على ان اشهر ما اشتهر به كتابه العقد الفريد وهو كتاب ادب كثير الشبه بكتاب عيون
الاخبار لابن قتيبة الذي اقتبس منه كثيراً .

* *

ابن عبد ربه كاتب اندلسي من كتّاب اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة .
عاصر المتنبّي ومات قبله بنحو ثلاثين سنة . وكان من معاصريه ابن دريد اللغوي وابو
الحسن الاشعري واضع علم الكلام والمسعودي المؤرخ المشهور والاصماني صاحب الاغاني
وغيرهم من العلماء الاعلام . وكتابه العقد الفريد مبوّب في خمسة وعشرين باباً جزئت على
ثلاثة اجزاء . وقد سمي كل باب منها باسم جوهرة فانظم من هذه الجواهر هذا العقد
الفريد اما الجواهر فهي اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والياقوتة والجوهرة
والزمردة والدرّة واليتيمة والعسيجة والجنبّة والواسطة . وهذه الاخيرة هي الثالثة عشرة
وسمّاها الواسطة لانها واسطة العقد اي في وسطه فما قبلها اثنتا عشرة جوهرة وما بعدها مثلاً
عدداً . والظاهر انه اعياء تسمية النصف الثاني من العقد باسماء جواهر جديدة فسمي
الرابعة عشرة الجنبّة الثانية والخامسة عشرة العسيجة الثانية وهلمّ جرّاً متقهماً الى اللؤلؤة
الثانية اي الجوهرة الخامسة والعشرين

وان من يحاول تلخيص هذه الابواب كلها مكن يحاول تفريغ البحر بصدفة - يفرغ
عمره ولا يفرغ عمله . فلذلك رأيت ان اقتصر من العقد الفريد على الزمردة الثانية في
فضائل الشعر وهي الجوهرة الثامنة عشرة كما لا يخفى . وانما وقع اختياري عليها لانها حوت
في الكلام عن الشعر كل ما لّد وطاب مما لا تكاد تجد له مثلاً في كتاب واحد

اشعر الشعراء

اختلف الناس في اشعر الشعراء . قال النبي صلى الله عليه وسلم - وذكر عنده
امروؤ القيس بن حجر - هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر بن الخطاب للوفد
الذين قدموا عليه من غطفان من الذي يقول :
حلفت فلم اترك لنفسي ربةً وليس وراء الله للرء مذهب
فالوا نابغة ذبيان : قال لم فمن الذي يقول هذا الشعر :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى وَجَل تَظُنُّ بِي الظَّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الْإِمَانَةَ لَمْ تَحْنُهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا هو النابغة . قال هو الشعر شعرائكم . وما احسب عمر ذهب الا الى انه اشعر شعراء غطفان . ويدل على ذلك قوله هو اشعر شعرائكم . وقد قال عمر لابن عباس الشدني لاشعر الناس الذي لا يعاظم^(١) من القوافي ولا يتبع حوشي الكلام . قال من ذلك يا امير المؤمنين . قال زهير بن ابي سلمى . فلم يزل ينشده من شعره حتى اصبح . وقيل للبيد من اشعر الشعراء قال صاحب الفروج يريد امرأ القيس . قيل له فبعده من^(٢) . قال ابن

(١) المعاطلة في القوافي هي التضمين في قول وهو تعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالافادة كقول النابغة :

وَمَ وَرَدُوا الْمُجْفَارَ عَلَى نَعِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمٍ عَكَاظٍ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ شَهِدْتُ لَهُمْ بِصَدَقِ الْوَدِّ مِنِّي

ولكن يؤخذ مما قاله ابو الخطاب القرشي في جملة اشعار العرب ان المراد بالمعاطلة هنا ترديد الكلام في القافية بمعنى واحد . وقال ابن الاثير المعاطلة ان لا تعقد الكلام وتوالي بعضه فوق بعض

(٢) يقول النابغة ان ادوات الاستفهام والشرط ونحوها من ذوات الصدر وهي ما تعين له صدر الكلام الداخل عليه . ولكن ورد في كلام فصحاء العرب ما يخالف ذلك . ففي التاريخ ان عائشة خرجت من مكة ترصد المدينة وعثمان محصور فلقبها عبيد بن ابي سلمة فقالت له مهيم (اي ما وراءك) . قال قتل عثمان وبقي ثمانية . قالت ثم صنعوا ماذا فاخرت اداة الاستفهام

وفرات في الاغاني انه كان بالكوفة رجل من الفقهاء يجتمع اليه الناس فيتذاكرون العلم . فذكر يوما شعر عمر بن ابي ربيعة فهجنه . فقالوا له بن ترضى . ورمهم حماد الرواية فقال قد رضية بهذا . فقالوا له ما تقول فبين يزعم ان عمر بن ابي ربيعة لم يحسن شيئا . فقال ابن هذا اذهبوا بنا اليه . قالوا نصنع به ماذا . قال (وهنا شتم قبيح) وحماد الرواية من اهل القرن الثاني للهجرة

وقال سعيد بن المسيب لنوفل بن مساحق من اشعر عبد الله بن قيس او عمر بن ابي ربيعة . فقال نوفل حين يقولان ماذا يا ابا محمد . وهما من فصحاء العرب في صدر الاسلام

ودخل نصيب الشاعر على عمر بن عبد العزيز بعد ما ولي الخلافة فقال له سل حاجتك . فقال بنيات لي نفست عليهن سوا دي (وكان نصيب اسود البشرة) فكسدن ارغب منهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان . قال فتريد ماذا . وهما من اهل القرن الاول للهجرة

ودخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له عبد العزيز هل عشقت قط . قال نعم امة ليبي مدحج . قال فكنت تصنع ماذا

ومعلوم ان اللهجة العامية المصرية تؤخر ادوات الاستفهام عن المستفهم عنه ما لا مثيل له في اللهجات العربية الاخرى ولا في اللغات الغربية المشهورة على ما اعلم . وقد كنت اعجب كيف تطرقت هذه البدعة الى اللهجة العامية هنا فاذا هي ليست غريبة عن العربية النحوى كما رأيت

العشرين يعني طرفه . قيل له فبعده من قال انا . وقيل للخطيئة من اشعر الناس . قال الذي يقول :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

يريد عبيد بن الابرص . وقيل له فبعده من فاخرج لسانه وقال هذا اذا رغب . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن ابي ربيعة فقال ذلك الفسق المقشر الذي لا يشبع منه^(١) واختلف الناس في اشعر نصف بيت قالت العرب . فقال بعضهم قول ابي ذؤيب الهذلي « والدهر ليس بمسعف^(٢) من يجزع »

وقال بعضهم قول زهير « ومن يك رهناً للحوادث بقلق »

وقالوا ان انخريت قالت العرب قول حسان بن ثابت

ويوم بدر اذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائهم ومحمدا
واحكم بيت قوله ايضا :

فان امراً امسى واصبح سالماً من الناس الا ما حيي لسعيد
وابدع بيت قول ابي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبها واذا تردت الى قليل تنقع^(٣)

(١) وقرأت في الاغاني ان حماد الراوية سئل عن شعر عمر بن ابي ربيعة فقال ذلك الفسق المقشر . وفي المحاشية هذه العبارة (قوله الفسق المقشر في نسخة الفاسق المفسد) . وهذا من اغرب التصريف ولا يستقيم اذا صحت الرواية المذكورة في المحاشية السابقة فانها تدل على شدة إعجاب حماد بعمر بن ابي ربيعة حتى شتم حاجته . ونسبت لفظنا (الفسق المقشر) الى الاصمعي ايضا فانه قالها في استحسن شيء غاب عني الآن وذكر ذلك في البيان والتبيين

(٢) وفي رواية (والدهر ليس بمعتب من يجزع) اي يمرض بعد الاستخاط ولعلها الرواية الصحيحة . وابو ذؤيب هذا مخضرم اي ادرك الجاهلية والاسلام . والشطر المذكور هو عجز مطلع مراثية رثي بها خمسة بنون له اهلكهم الطاعون في سنة واحدة . والصدر (امن المئون وربو تنوج) . ومن ابياتها المشهورة واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل غيمة لا تنفع

على انه لو كان في الشطر كلمة (مسعف) مكان (معتب) لم يكن بهامن باس . فقد ورد في محبظ البستاني (والمولدون يستعملون اسعفة بمعنى ساعد) ثم استشهد ببيت لابن النارض ولكن ابن الفارض يحدّث لا مولد . وفي التاج (اسعف الرجل بمحااجة قضائها) اي ساعد كساعته . وجاء في الاغاني في خبر عن اسحق بن ابراهيم الموصلي في عهد الرشيد (فركبت معه اسألك ان تسعفه فيما سأل) . وعهد الرشيد من عهد المولدين

(٣) وهو من مراثية المشهورة التي تقدمت الاشارة اليها

واصدق بيت قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائلٌ

هذه زبدة ما ورد في العقد الفريد عن اشعر الشعراء واجمل الابيات . وقد جاء في مواضع اخرى انهم قالوا ان زهير بن ابي سلمى هو اشعر العرب وان النبي انما قال ان امراً النفس بقدم بلواء الشعراء الى النار لقدمه في الشعر . وانكر غيرهم هذا القول وقالوا لو كانت التقدمة بالتقدم لقدم النبي ابن خدام^(١) على امرىء القيس

وجاء في رواية اخرى عن حديث عمر وابن عباس^(٢) السالف الذكر ان عمر كان جالساً في اصحابه يتذاكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم فلان اشعر ويقول آخر بل فلان اشعر . فقيل ابن عباس بالباب فقال عمر قد اتى من يحدث من اشعر الناس . فلما سلم وجلس قال له عمر يا ابن عباس من اشعر الناس قال زهير يا امير المؤمنين . قال عمر ويلك ذلك . قال لقوله يمدح هرماً وقومه بني مرة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنّ اذا فرعوا انس اذا امنوا مرزؤن بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

قال عمر صدقت يا ابن عباس

وذكرت حكاية عمر ووفد غطفان في مكان آخر وخلاصتها : خرج عمر وبيابه وفد غطفان فقال اي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم اترك لنفسى ربةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
ولست بمستبقٍ احاً لا تله على شعبي اي الرجال المهذب
(وهذا البيت الثاني اشهر من نار على علم) . قالوا النابغة يا امير المؤمنين . قال فمن القائل (وهنا الابيات المذكورة في الرواية الماضية) قالوا النابغة . قال فمن القائل :
الاً سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحدها عن الفند
قالوا النابغة . قال هو اشعر شعرائكم

وفي مكان ان اول من قال الشعر ابونا آدم حيث رثى ابنه هاييل قال :

(١) او ابن خدام شاعر يقال انه قال الشعر قبل امرىء القيس بدليل قول امرىء القيس :

عوجاً خليلي الغداة لعلنا نبكي الدبار كما بكى ابن خدام

(٢) ابن عم النبي دعا له النبي بالحكمة وحسنه برفق حين ولد

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وظم
وقل بشاشة الوجه الصبيح^(١)
وجاورنا عدو ليس بفي
لعين لا يموت فنستريح
أهابل ان قتلت فان قلبي
عليك اليوم مكثب قريح

فاجابة ابليس :

تنح عن الجنان وساكنيها
ففي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء
وقلبك من اذى الدنيا مريح
فما برحت مكابدي ومكري
الى ان فاتك الثمن الربيع
ولولا رحمة الرحمن امسى
بكفك من جنان الخلد ريح

وزعموا ان بعض الملائكة نظم هذا البيت :

لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير الى الذهاب
ولا يخفى ان كل ذلك موضوع على لسان ادم وابليس والملائكة كما وضع شعر ملان
المعروف بالفردوس المفقود

وذكروا ان الخلفاء الراشدين نظمو الشعر فقال ابو بكر الصديق يرثي النبي :

اجدك ما لعينك لا تنام
كأن جفونها فيها كلام

وقال عمر بن الخطاب :

ما زلت منذ وضعوا فراش محمد
كئيبا يرض خائفا اتوجع

وقال علي :

ألا طرق الناعي بليل فراعني
وارتقي لما استقرت مناديا

وقال عثمان :

فيا عين ابكي ولا تسامي
وحق البكاء على السيد

•••

اما الحكم في اشعر الشعراء او في احكم الشعر او ابدعه او اصدقه فمن اصعب الصعب
اذ المسئلة مسئلة ذوق والذوق مختلف باختلاف العقول والوجوه . فقد ترى حسنا ما ليس
بالحسن . وترى حكيمًا ما لا يرى فيه وجه الحكمة غيرك او يجده غيره احكم منه

(١) بشاشة تمييز وحذف التنوين لالتقاء الساكنين هكذا يزعمون وهو يخالف المعروف

وعندي ان هذا البيت :

ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا هو سائله

او ما ورد على مثاله ونسج على منواله هو احسن الشعر

ويختلف نظر الناس الى الامور ايضا باختلاف امزجتهم واعمارهم . فصاحب
الدواء يقدم الرثاء على الغزل والمدح . والعصي المزاج ربما قدم الحماسة على الحكمة .
والشاب يستحسن من الشعر ما لا يستحسن الشيخ والشيخ ما لا يستحسن الشاب . فقد كنت وانا
حدث اطرب بقول المتنبي :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وان ترد الماء الذي شطره دم فتسقى اذا لم يسق من لم يزاخر

وذهب بي اعجابي بهما وطربي لهما ان قلت لصديق لي اذا جاءك يوما نعي فقل كان
رحمه الله يمثل بهذين البيتين فيرقص طربا لجمعها بين الحكمة الرائعة والحماسة التي ليس
بعلها مجال لأحمس . اما اليوم وقد وهن العظم واشتعل الرأس شيبا فقد لا ارى فيها
ما كنت ارى من قبل ولا اهتز لها كما كنت اهتز في عنفوان الشباب . وربما كنت
الآن اشد طربا واعجابا بقول ابي الطيب :

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولي

ثم متى آذنت شمس العمر بالمغيب فرمات اكثر استحسانا لقوله :

واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا

وقد تعرفوني هزة في الرمس فانتفض لقوله :

لا بد للانسان من ضجعة لا ثقلب المضجع عن جنبه

ينسى بها ما كان من عجيبه وما اذاق الموت من كربه

ولكن يقال اجمالا ما قال شاعر قديم :

وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

بقابل ذلك حكمة قديمة وهي قولم « اعذب الشعر اكدبه »

(نقيب)

صفحة من تاريخ التجارة المصرية

النزاع والتفاسم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

(تابع ما قبله)

وقد روى الشيخ زين الدين صاحب كتاب « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين » ان « ابتداء وصولهم الى مليبار كانت سنة ٩٠٤ للهجرة النبوية (١٤٩٨ م) وصلوا الى فندر بنة (Paudarane) في ثلاث مسماريات ^(١) بعد انقطاع موسم ^(٢) الهند ثم خرجوا منها الى بندر كاليكوت في طريق البر واقاموا فيها شهوراً يتعرفون اخبار مليبار واحوالها ولم يشتغلوا بالتجارة بل رجعوا الى بلدهم پرتكال . وسبب وصولهم الى مليبار على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل لتختص تجارته بهم فانهم ما كانوا يشترونه الا من الذين يجلبونه من مليبار بوسائل ^(٣) »

هكذا توصل البرتقاليون الى العثور على الطريق البحري الموصل الى بلاد الهند . وسنرى اى انقلاب حصل في بلاد المشرق بسبب هذه الخطوة الاولى . نعم ان تجار العرب قد تفتنوا الى هذا الخطب المقبل عليهم بكل كلفة فشمروا عن ساعد الجد وتألّبوا على احباط فاسكوحتى لا يكون لهم مزاحم في هذه السوق الكثيرة الخيرات . وقد بذلوا كل ما في وسعهم لمنع هذا الدخيل من مشاركتهم في احتكارهم لانهم ادر كوا ان هذه المشاركة لا بد ان تقضي بالبرئقال الى الاستئثار بالسوق واقضاء كل من عداها عنها . ساعدهم فاسكو بنفسه على نفسه بمباغتاته وتهوره في معاملاته حتى ان السامري صاحب كاليكوت رده حيث اتى . فحمد عليه فاسكو حقداً عظيماً سنرى آثاره عند مجيئه هذه البلاد في المرة الثانية . كيف لا يحقد وهو مع كل ما بذله من المجهودات والمصروفات لم يتمكن من الرجوع بشيء يذكر اللهم الا بعض بالات من الفلفل والبهارات وقليل من الاججار الكريمة وكية زهيدة من

(١) اسم للسفن التي تستعمل فيها المسامير لربط الواحها بعضها ببعض بخلاف السفن المستعملة في بحر الهند التي تربط الالياف الواحها او تكون مؤلفة من جذع شجرة كبيرة وهذا النوع الاخير يطلق الافرنج عليه لفظة Yonque وهو اللفظ الذي استعمله ابن بطوطة فقال « جنك » وجمعه على « اجناك »

(٢) الريح الشديدة الخاصة بجوار الهند وهي التي يسمىها الافرنج Mousson عن اللفظ العربي والى انقطاع موسم الهند وسكون الريح اشار احمد بن ماجد بما اشار به على فاسكو في رواية قطب الدين

(٣) عن « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين » للشيخ زين الدين . طبع لشبونة

الآلئ والدراري . استخدم هذا الوسق الطفيف بمثابة النموذج والراموز او العينة والمثال للدلالة على اهمية تلك السوق وما فيها من ينابيع الثروة واليسار . نعم ان التجربة الاولى لم تأتِ بالنتيجة المتبتغاة من حيث الوجهة التجارية . لكنها افادت اكبر فائدة من حيث انها كانت كالطليعة لارتداد الطريق وتمهيداً للمستقبل القريب . ومن هذه الوجهة كانت هذه التجربة مكملة بالنجاح التام . كيف لا وقد توفق فاسكو الى الرجوع من هذه الرحلة بكنز ثمين واعني به رجلاً واحداً .

هذا الرجل كان طليانياً فتمصر ثم تهند . هذا الرجل كان يهودياً فتمسلم ثم تنصر — هذا الرجل هو جسيبار وما ادراك ما جسيبار؟ يهودي من اهل ايطاليا هبط على الاسكندرية في ايام السلطان قايتباي فدرس سوقها التجارية دراسة وافية ثم سافر الى القاهرة فمكة فبلاد مليبار وهنالك تجول في جميع اقطار الهند ووقف على كل احوالها التجارية والسياسية والجغرافية ثم دخل في دين الاسلام وكان في خدمة سلطان كوة (Goa) حينما وصلها فأسكو دوجاماً فدخله وكاشفه بأصله الافرنجي وطلب اليه ان يعمده فتنصر على يديه . وحينئذ افضى اليه بثمرة معارفه التي اكتسبها بعد الخبرة والممارسة مدة ٣٠ سنة واحاطة علماً باحوال كاليكوت وغيرها من مدائن الهند والهند الصينية وعرفه بمحاصيلها إقليمياً وأسعارها وبما تحتاج اليه من السلع والبضائع الاوربية ثم رضي بالذهاب معه الى البرتغال . فلما مثل ذلك اليهودي المسلماني المنتصر بين يدي عمانوئيل فرح به وانعم عليه بمرتبة سنة كاملة . اما فاسكو دوجاماً فقد اضاف الملك الى القابله لقب « سيد الفتح والملاحه والتجارة في بلاد الحبش والعرب والفرس والهند » . وقد امر الملك بارسال تجريدة ثانية الى بلاد الهند تحت امره كابرال و اضاف اليها جاسبار اليهودي المسلماني المنتصر بصفة دليل ومستشار فترك الاميرال كابرال من لشبونة في ٩ مارس سنة ١٥٠٠ (٨ شعبان سنة ٩٠٥) وهو على رأس اسطول حقيقي فيه السلاح الكافي لمقاتلة اهل مليبار (فيما لو حاولوا الدفاع عن اوطانهم) ولحاربة المصريين (اذا حدثتهم انفسهم بالمحافظة على مركزهم التجاري والسيامي في كاليكوت) . وكان مع كابرال كمية وافرة من النقدين الكريمين ومن البضائع الاوربية لاجل الحصول على الفلفل والابازير بطريق الشراء والمقايضة . غير ان هذا الاسطول تحطم بعضه عند رأس الزوابع وطاح بعضه في البحار فلم يصل من هذا القسم الثاني امام كاليكوت سوى ست سماريات كانت فيها الكفاية لارهاب السامري بحيث انه اذن للبرتغال بالنزول على مدينته وانشاء مخزن فيها للتجارة . فدخلوا كاليكوت على هيئة التجار

واشتغلوا بالتجارات ثم تدرّجوا في مطاعمهم فبنى لهم كابرال قلعة « شينا كوتا » اي قلعة الصينيين ووضع فيها حامية للحفر مؤلفة من ١٠٠ رجل او ٧٠ او ٦٠ على اختلاف اقوال مؤرخي البرتغال . وحيثئذ توسعوا في مطالعهم فارادوا ان يستأثروا وحدهم بالسوق دون المصر بين فقالوا لعمال السامري : « ينبغي منع المسلمين من تجارتهم ومن السفر الى بلاد العرب والفوائد الحاصلة منهم يحصل منا اضعافها ^(١) »

وقد كان للتجار المصر بين مكانة ممتازة عند اهل مليبار لصدقهم وامانتهم وكان المسلمون المتوطنون في هذا الساحل محبوبين محترمين عند السامري ورعيته لما انصفوا به من جميل الخصال ومكارم الاخلاق . فلذلك لم يستمع السامري لطلب البرتغال بل اصاخ لشكوى عملائه المصر بين واظهر الميل لهم مما اوجب غضب كابرال فقبض على سفينة عربية ثم اعز الى رجاله بالاعتداء على المسلمين في المعاملات فهاج العامة على البرتغاليين فقتلوا منهم نحو سبعين او ستين على ما يقول زين الدين . اما مؤرخو البرتغال فيقول بعضهم ان عدد المقتولين من حامية القلعة كان ٣٦ رجلاً ويقول البعض الآخر ان عدد القتلى والجرحى انما كان ٥٠ او ٥٤ وعلى كل حال فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان بقية الحامية لجأت الى الاسطول البرتغالي وان كابرال اصدر امره بضرب المدينة بالمدافع يومين كاملين موجهاً قنابلهُ ونيران مدافعه بنوع خاص الى السفن التجارية المصرية حتى اغرقها بما فيها وبمن فيها من نساء واطفال ^(٢) بهذا الشكل الفظيع القاسي قطع كابرال علاقاته مع السامري وبلادهم ومن الجائبات ان هذه الفظاعة كان فيها فائدة كبرى لاميرال البرتغال لم تكن تحطّر له على بال . ذلك ان سلطان كشي وسلطان كسنور توددا الى كابرال ليشفيا ما في صدورهما من غلّ وحزازات واحقاد نحو السامري وبلادهم فاغتنم البرتغاليون هذا التوفيق الذي ساقه اليهم المقدور وذهبوا الى بندر كشي (Cochin) وصالحوا اهلها وبنوا فيها على ما يقول زين الدين قلعة صغيرة وهي اول قلعة بنوها في الهند واتخذوها مسكنهم وهدموا مسجداً كان في ساحل البحر وبنوا بيعة وعاملوا اهلها . وكذلك صنعوا في بندر كسنور . واما مؤرخو البرتغال فلا ينكرون هدم المسجد وبناء البيعة ولكنهم يقولون انهم في هذه السنة اقتصروا على بناء المخازن التجارية واما القلاع فيؤكّدون انهم انما بدؤوا في بندر كشي باقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٣ (سنة ٩٠٩ هـ) ثم شيّدوا قلعة من الحجر ^(٣) بعد ثلاث سنوات

(١) تحفة المجاهدين (٢) انظر هيدي Heyd واليزيه ركوسر Elisée Reclus (٣) لان استخدام الحجر في المباني كان في بلاد مليبار محرماً الا فيما يتعلق بهياكل الاصنام (Pagodes) ونصور الملوك

وأما في بندر كENNOR فانهم بدأوا بإقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٥ ثم شيدوا قلعة من الحجر في سنة ١٥٠٧

ومعاً يكن من امر الحصون والقلاع فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان كابرال اخذ من هذين البندرين كل ما اراد من البضائع وأنه تمون في كشي بالفلفل وفي كENNOR بالقرفة والزنجبيل ورجع البرتقاليون الى « بلادهم بمقصودهم الاعظم الذي لأجله قطعوا المسافات البعيدة » فعاد كابرال الى لشبونة فائزاً بغنائم ومتاجر واموال اربت على كل ما كان في الحسبان . وبعد سنة اي في سنة ١٥٠١ (سنة ٩٠٧ هـ) ارسل عانويل اسطولاً مؤلفاً من أربع سماريات . ونزلوا في كشي و كENNOR وعادوا الى بلدهم بالفلفل والزنجبيل

وفي السنة التي تليها وصل فاسكو دوجاما للمرة الثانية الى ساحل مليبار بالقب « اميرال بحر الهند » ومعه اسطول مؤلف من عشرين سمارية او احدى وعشرين او اثنتين وعشرين أو ثلثي عشرة كما يقول زين الدين . اما مؤرخو البرتغال فبعضهم يقول ان هذا الاسطول كان مؤلفاً من ٢٥ قطعة منها ١٢ من سفن الدولة والباقي من سفن التجار والبعض الآخر يقول ان هذه العمارة كانت مؤلفة من عشرين قطعة منها خمس مخصصة لفتحهم البحر الاحمر لتغلب سفن مكة ويقولون ان هذه الخمس قد ذهبت فعلاً الى محل مأمور بتها فوقفت عند باب المندب لمنع دخول الاسطول التجاري المصري من بحر الهند واصدت سفن التجارة القادمة من الهند عن الذهاب الى المواني المصرية . ولقد نجح هذا القسم في مهمته اذ تمكن من القبض على سفينة تجارية مصرية قادمة من البحر الاحمر وفيها وسق حافل بأصناف التجارات لا يقل ثمنه عن ٢٤ الف دوكات (دينار بندي) ثم انضم هذا القسم الى بقية الاسطول فسار به فاسكو دوجاما الى بلاد مليبار فالتقى ببعض مراكب لتجار مصر كانت مشحونة بالافاوية من الهند وراجعة الى السويس فنهب ما فيها من البضائع واغرقها وكان بينها مركبان ^(١) للسلطان الغوري . فلما وصل فاسكو دوجاما الى كاليكوت ارسل للسامري سلطانها بأمره باخراج العرب والمصريين وسائر المسلمين من ديار مليبار وكان عددهم لا يقل عن اربعة آلاف نسمة وكلهم من اهل الثروة واليسار المعروفين بالاستقامة والامانة فأمير السامري من مصلحة بلاده ولا من العدل ان يجيب هذا الطاب فاطلق البرتقال فطلبهم على المدينة وشنوا الغارة الشعواء على السامري وفازوا عليه فوزاً مبيتاً . ثم ذهب فاسكو باسطوليه الى ناحيتي كشي و كENNOR فرأى ان سلطانيهما منحرفان عليه بل مجاهران له

بالخصام لكنه نجح في استدراجها الى المودة والعهد القديم لاسيما بعد فوزه على السامري ونكايته بتجار مصر في مليبار وقبضه على السفينة التجارية المصرية عند خروجها من البحر الاحمر . فهذا الفوز المثلث تمكن من تسخير السلطانين لامره وتيسر له شراء الفلفل والتوابل والابازير بثمن يقل عما دفعه في المرة الاولى بمقدار ٢٠ في المائة . ولقد استخدم ما اتى به من النقود الكثيرة وما اصابه في السفينة المصرية التي اغتصبها في الحصول على بضائع فوق كل ما كان يقدره او ينتظره حتى شحن جميع مراكبه وبقي من البضاعة مقدار جسيم ابقاه الى فرصة اخرى في الخازن التي بناها البرتغال على سواحل مليبار وغيرها من بلاد الهند واحكموا تحصينها بالقلاع وحمايتها بالمدافع والرجال ثم رجع ادراجها الى لشبونة في اوائل سبتمبر سنة ١٥٠٣ (ربيع الاول سنة ٩٠٩ هـ) ومجموع وسقه بين ٣٠ و ٣٥ الف قنطار من الابازير (والقنطار عبارة عن ١٥٠ الى ١٦٨ رطلاً من ابطال البنادق) ومعظم هذا الوسق من الفلفل فقد كان مقداره وحده لا يقل عن خمسة آلاف قنطار باقي الوسق من القرفة والزنجبيل وجوز الطيب هذا الى مقدار عظيم من الاجار الكريمة والدراري الغالية القيمة بحيث بلغت قيمة الشحن مليون دينار بندي مع ان مصاريق التجربة كلها لم تزيد على مئتي الف بمعنى أن الربح كان عبارة عن اربعمائة في المائة (٤٠٠ ٪) فضلاً عن رجوع رأس المال اي ان الدينار الواحد صار خمسة دنائير . وكان معظم الارباح الملك البرتغال طبعاً . لذلك نزلت اسعار الفلفل في بلاد البرتغال من ٤٠ بندياً الى ٢٠ فقط باعتبار القنطار الواحد مع ان ثمنه في محل استيراده لم يزد على دينارين ونصف الى ثلاثة فقط وقبل ان تصل هذه الرسالة الى لشبونة كان ملك البرتغال قد بعث في ابريل سنة ١٥٠٣ (ذي القعدة ٩٠٨ هـ) تجريدة بحرية اخرى مؤلفة من تسع سفائن كل ثلاث تحت امرة رئيس مستقل واشهر هؤلاء الرؤساء الثلاثة الذي يعيننا الكلام عليه هو صاحبنا الفونسو البوكرك (Albuquerque) فانه تجرد ووصله الى الهند رأى السامري صاحب كاليكوت قد اغنم فرصة غياب فاسكو دوجاما وخرتب مخازن البرتغاليين وطرد ملك كشي (Cochin) الذي كان موالياً للبرتغاليين ومساعداً لهم ضد وطنه وقومه فاضطر هذا الملك الى الالتجاء الى جزيرة في البحر امام عاصمته وآوى اليه من كان معه من ابناء البرتغال . فتربث البوكرك حتى انضمت اليه كل السفن البرتغالية التي سافرت معه والتي كانت سبقته الى بحار الهند وسفينة التي كانت تأتية عن العمارة التي وصلت مع فاسكو وحينئذ انبرى لمقاتلة السامري حتى نقرر الصلح بينهما على غرامة يدفعها السامري قدرها ١٥٠٠ دينار

من الفلفل (والبهار عبارة عن ثلاثة قناطير او اربعة) ثم اعاد بناء المخازن وارجع ملك
كشي الى كرسيه وتعهد السامري له بان يمنع مراكب مكة من اخذ البضاعة من بلاده .
« ثم نتابع في كل سنة على هذا المنوال وصول مراكبهم العديدة من برتكال بالرجال
والاموال وسفر مراكبهم الكبيرة من مليمار بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع الى برتكال »
رأى صغار ملوك الهند ذلك السيل المتدفق على بلادهم بل ذلك القضاء المبرم الواقع
على رؤوسهم وعلما ان لا طاقة لهم بدفع غوائل البرتقال عنهم . فلم يكن لهم مندوحة عن
الاستكانة لهم والخضوع لكلتهم فدخلوا في صلحهم وما لبثوا ان صاروا من جملة الخول والخدم .
وكان في مقدمة المتقادين لامرهم اهل كشي وكننور ومن تبعهم فكانوا يشتغلون بالتجارة
نحو سيطرتهم ويسافرون « في البحر مصالحين لم آخذين اوراقهم معهم لكل مركب علامة
لاماتهم »^(١) وفرض البرتقاليون على كل جواز من هذه التذاكر مالا معيناً يدفعه أصحاب
المركب لرعاتهم اي سلاطين الهند الذين يخضع لهم المسافرون حتى يكون هو لاء الملوك
الوطنيون عوناً للبرتقاليين على احكام تجارة الهند . فكان الاسطول البرتقالي الضارب
في بحار الهند اذا عثر بمركب « ليس فيه ورقتهم اخذوا المركب وما فيه ومن فيه »^(٢)
وذلك كله بقصد تحريم السفر الى البحر الاحمر بتاتا ومنع الفلفل والبهارات من الوصول
الى مصر حتى لا يكون لهذه الاصناف سوق في اربعة خلاف التي في لشبونة . وعاد هذا
التدبير بالضرر الاكبر على تجارة كاليكوت لان سلطانها السامري كان لا يزال معانداً للبرتقال
والحرب بينه وبينهم سجال . هذا ما كان من امر البرتقال لغاية سنة ١٥٠٣ م (سنة ٩٠٩ هـ) فقط
وقبل ان انتقل الى ما كان من شأن مصر وصد بقتها وعميلتها (جمهورية البنادقة) ينبغي لي
تقرير الحقيقة التي اصبحت في ذلك العهد امراً مقضياً وهي ان عمانوئيل السعيد كان الله قد اتاح
له كل ما بطمح اليه من النجاح وخدمته الحظ في تحقيق احلامه . وهو الحق يقال قد ثبت
في مشروعه ثباتاً خليقاً بالمدح والاعجاب ولا سيما فيما حوله من احكام تجارة الهند لمنفعته
الشخصية ولمصلحة بلاده . فلم يشته عن الغرض الذي وضعه نصب عينيه منذ جلوسه على
العرش ما تجشمة من الصعوبات والاضطرابات الملازمة لهذا السفر الطويل الشاق وما ترتب
عليه من ضياع السفن الكثيرة والارواح العديدة الى ان استقرت له في سنة ١٥٠٣ (سنة
٩٠٩ هـ) المذكورة السيطرة التجارية في تلك الاقطار والسيادة على ما يكتنفها من البحار .
فلا جرم ان اصبحت لشبونة وهي القابضة على زمام التجارة الهندية نصرت لها على ما تريد

(١) كلام زين الدين ودافيد لوبز David Lopez (٢) كلام زين الدين ودافيد لوبز

وتشتهي في اوروبا الغربية بل ترسل قسماً منها كما تشاء وتبغى الى بعض جهات اوروبا الشرقية نفسها وما ذلك الا للبالغة في النكاية بالغوري وعملائه البنادقة .
ولا جرم ان كان ذلك سبباً وثيقاً في بوار تجارة مصر والبندقية !

•••

رأى أهل فلورنسة وجنوة نجاح البرتغاليين في تجريدتهم الاولى وتحققوا ان وساطة مصر اوشكت على الزوال ! وحينئذ تهاوتوا على لشبونة فامسوا فيها محال تجارية بل ان اهل فلورنسة جهزوا على حسابهم الخاص بعض السفن التي رافقت تجريدات البرتغاليين التي توالى سيرها بعد التجربة الاولى الى بلاد الهند وكان ذلك اول انحراف انحرافه الاوربيون المتوطنون على شواطئ البحر الابيض المتوسط عن مصر ووساطتها والدنيا لمن غلب .

في شهر اغسطس سنة ١٤٩٩ (محرم سنة ٨٩٥) وصل الى البندقية بلاغ عن القاهرة والاسكندرية بما حدث من نزول البرتغال على كاليكوت ولكن الخبر كان ملطفاً مخففاً بحيث لا يوجب الانزعاج لان تجار مصر كانوا يخشون انحراف عملائهم البنادقة عنهم وفي ذلك خسارة كبيرة عليهم ولكن الجمهورية تحقققت من سفيرها في لشبونة نجاح البرتغال في كل ما حاولوه من احكامار التجارة في اقطار الهند بل قال الملك لهذا السفير (٢٤ يونيو سنة ١٥٠١ - ٢٦ ذي القعدة سنة ٩٠٦ هـ) وقد آراه هذا النجاح بعيني رأسه « قل لاساطين الجمهورية واراكنة البندقية ان لا حاجة لهم بعد الآن الى ارسال سفائهم واغربتهم الى المياه المصرية لاستحضار البهارات والابازير بل هم عما قليل لن يجدوا في اسواق تلك السلطنة شيئاً منها وليس لهم سوى ان يقدوا على بلادنا فنخص تجارتهم بالخفاوة والكرامة بحيث يكونون كأئهم بين اهلهم وفي اوطانهم » .

نزلت هذه الاخبار كالصاعقة الساحقة الماحقة على جمهورية البنادقة اذ كان اساس سيطرتها واركان ثروتها قائمة على تجارتها مع المشاركة . فلو ان هذه التجارة انتقلت الى يد البرتغال لسقطت مدينة البندقية سقوطاً لا قيام لها بعده . لان البرتغاليين بشروط الفلفل وغيره من الابازير والبهارات من منابتها بالهند يذهبون بها توتاً ومباشرة الى بلادهم دون ان يعترضهم في طريقهم ديوان (كرك) يتقاضى شيئاً من الرسوم التي يجب اضافتها على الثمن بخلاف البنادقة فانهم انما كانوا يحصلون على هذه الاصناف من عملائهم المصريين وهم لا يجلبونها من موطنها الا بعد مرورها على يد طائفة عديدة من الوسطاء والسماسرة في جده وعدن فضلاً عن رسوم الديوان (الكرك) دخولاً وخروجاً في هاتين المدينتين ثم

في القاهرة والاسكندرية وبירות الى ما وراء ذلك من النفقات غير الرسمية او غير الشرعية من مجاملة ومجارة ومحابة ومدارة مما يزيد الثمن اضعا فاك (١) . بهذه الوسيلة كان يستحيل على البنادقة مناظرة مزاحمتهم في اسواق اوربة . فلم يكن لهم مندوحة عن اختيار احد امرين : اما الاستكانة والتسليم ونفض ايديهم من هذه التجارة وفي ذلك القضاء البرم على سيطرتهم وثروتهم - واما المكافأة والمقاومة والعمل على فشل البرتغاليين وفي ذلك استبقاء لمكانتهم ومحافظة على ثروتهم . ولقد اخناروا الشق الثاني فوجهوا وجههم شطر صاحب مصر السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري لاعثقادهم بأنه لا يحجم عن بذل كل مرتخص وغال في الاحتفاظ باحثكار تجارة الهند التي هي منبع ثروته الشخصية ودعامة الرخاء واليسار في بلاده . صحت عزيمة الجمهورية على تلافي الخطب قبل استفحالها . فارسلت بندتو سانوتو (Benedetto Sanuto) سفيراً الى القاهرة في اواخر خريف سنة ١٥٠٢ م (سنة ٩٠٨ هـ) وكان علياً باحوال السلطنة المصرية إذ كان قنصلاً للجمهورية في دمشق من سنة ١٤٩٦ الى سنة ١٥٠٠ م (٩٠٢ - ٩٠٦ هـ) وفي كل تلك المدة اثبت كفاءته واقتداره في خدمة مصالح بلاده . وكانت مأموريته السرية ان يوقف سلطان مصر بالجملة والتفصيل على الاخطار المحدقة به وبثروة بلاده من جراء اعمال البرتقال في بلاد الهند . ولقد بعثت الجمهورية اليه وهو بالقاهرة في يوم ١٤ ديسمبر (٣ جمادى الثانية) من السنة المذكورة بلاغاً يتضمن آخر ما وصل اليه البرتقال في بلاد الهند وهو مما يوجب مزيد الخوف على مستقبل مصر والبندقية معاً . وكان من ضمن التعاليمات المرسلة اليه ان يعرض على مسامع السلطان : ما هو حاصل عليه هو وبلاده من المكاسب الناجمة عن تجارة الالبازير والبهارات وان هذه التجارة اذا تحولت الى طريق البرتقال فذلك يعود عليه وعلى بلاده بالعواقب الوخيمة وان ملك البرتقال قد دعا ملك الانكيز وسائر الامم النصرانية الى لشبونة لاختذ كل ما يحتاجون اليه من الفلفل والالبازير بثمن بخس رخيص وان كثيراً من سفائن اوربة مزمنة على الاقلاع الى عاصمة البرتقال لاجابة هذا النداء وان البنادقة انفسهم (وان كان يشق عليهم ان يقطعوا علاقاتهم الودية القديمة مع مصر) فانهم لن يضطروا في آخر الامر الى الانقطاع عن المتردد على الاسكندرية ودمياط وبירות وانه ليس لهذه النازلة من دواء سوى السعي في اقفال ثغور الهند في وجه البرتغاليين حتى

(١) كانت رسوم الجبرك المقررة حينئذ باعتماد ٢٠ في المائة يضاف اليها من الوراق ما يعادها كائن عليه الفلشندي

بضطر اسطولهم للرجوع بصابورته (اي من غير شين شيء من البهارات والابازير) فان
هذا الامر لو تكرر مرتين اثنتين فقط فان يرجع القوم الى الهند مرة ثالثة على الاطلاق
وانه لأجل الوصول الى هذا الغرض يجب المبادرة بارسال سفراء من المصريين الى الهند
لافهام ملوكه باسم سلطان مصر وجوب الافلاخ عن المداخلة والمعاملة مع البرتغاليين وقطع
العلاقات معهم وافهامهم ان الضرر كل الضرر يعود عليهم انفسهم اذام آثروا هؤلاء
الدخلاء على المصريين والعرب لان البرتغاليين لا يشترون منهم سوى الفلفل والابازير
بخلاف المصريين والعرب فانهم يشترون منهم جميع مصنوعاتهم ومحصلاتهم ولذلك كانت
معاملة الهنود معها اكثر فائدة واوفر نفعاً من الاقتصار على بيع الابازير والبهارات
ادى السفير هذه المأمورية كما ينبغي وقام بمهمته خير قيام ثم اقترح على السلطان ازال
الاسعار لدرجة معقولة بحيث يتسنى للبنادقة ان يضغطوا على البرتغاليين ويسدوا المنافس
والمنافذ في وجوههم فيقتلوا تجارتهم ويسترجعوا اسواق اوربة كلها المصلحة البندقية ومصر
وفي اثناء ذلك وصل الى السلطان الغوري صريح من الهند واليمن فقد استغاث به التجار
المصريون الذين اغرق الاميرال كابرال سفائنهم امام كاليكوت . واستنجد به الساري
صاحب كاليكوت وكان للبرتغال خصماً عنيداً وعدواً لدوداً لا ينفك عن مقارعتهم
والتنكيل بمن بوالهم من ملوك الهند وصرف في ذلك اموالاً كثيرة حتى ضف هو
ورعاياه ومن والاؤه . وارسل سلطان كجرات السلطان ناصر الدين ابو الفتح مظفر شاه
خليل بن محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه يستعدي الغوري
على البرتغال لتعديهم على بلاده ويطلب منه العدد والآلات والمدافع لدفع ضررهم عن
المسلمين . ومن استنجد بالغوري وطلب منه انجدة على الافرنج السلطان عامر بن عبد الوهاب
صاحب اليمن لكثرة ضررهم في بحر اليمن وبنادره وتواتراذام وضف جنود المسلمين بتلك
الديار عن مقاومتهم لعدم معرفتهم بحرب البحار واستعمال المدافع
بهذه المثابة اجتمعت المنفعة التجارية المالية والمصلحة السياسية الدينية . فتحرك السلطان الغوري
لهذين العاملين القويين وامر بانشاء اربعة افرجة حربية في دار الصنعة (ترسانة) بالقاهرة ثم
حمها على ظهر الجمال وهي مفككة قطعاً قطعاً حتى وصلت الى ثغر الطور ومن هناك تولى العمال
الاخصاصيون تركيبها وانزالها في البحر . قصد السلطان بارسالها الى بلاد الهند ان تكون كنموذج
للسفائن الحربية المصرية في شكل طليعة للاسطول السلطاني الذي سيباشر القتال مع البرتغال
وصل هذا الخبر الى جمهورية البنادقة عن لسان دومنيكو كابللو (Domenico Capello)

فصلها في القاهرة في جملة ما وافاها به من الاخبار والماجريات ضمن مسطورره المؤرخ في ٢٤ نوفمبر سنة ١٥٠٩ (١٠ شعبان سنة ٩١٥ هـ) ولم يقف سلطان مصر عند هذا الحد من الابتداء في دفع البرتقال بل لجأ ايضاً الى الطرق السياسية فكلف الراهب الاسباني موروس (Maurus) حارس دير جبل صهيون بمدينة القدس وهو من طغمة الفرنسيسكانيين بان يذهب الى اوربة في السفارة عنه لدى البندقية فالبابا فملك اسبانيا فملك البرتقال كان وصول هذا السفير الى البندقية في يوم ٥ مارس سنة ١٥٠٤ (١٧ رمضان سنة ٩٠٩) وسلم جمهوريتها كتاباً لطيفاً من السلطان يقول فيه انه كثير العناية شديد الاهتمام باستمرار العلاقات التجارية بين بلاده وبين الجمهورية ويرجوها فيه ان تشدد أزر منبر الراهب بتوصية ملوك اوربة عليه . لكن الجمهورية امتنعت عن ذلك لاسباب كثيرة أخصها انها كانت تميل الى اجتناب كل ما يشتم منه انها هي التي حرّضت سلطان مصر على هذه المأمورية ولتخوفها من ان مساعيها ربما تأتي بعكس المطلوب وثالثاً لانها كانت مصافية لاسبانيا وللبرتقال فكان من واجبهما عدم الاحتكاك بهما مواجهة . فلذلك قررت الوقوف على الحياد المشرب بالميل لمصر وسلطانها . فانطلق السفير المصري الى رومية في ربيع سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وقدم للخبر الاعظم شكوى سلطان مصر من فردينند الكاثوليكي ملك اسبانيا ومن عمانوئيل السعيد ملك البرتقال لان الاول يتجاوز كل حد في اضطهاد المسلمين بزنطة ولان الثاني لا يزال يواصل مساعي في الهند اضراً بمصالح السلطان وان هذا وذلك ربما يجبران السلطان الى الاقدام على مالا يريد من الانتقام إما بهدم الاماكن التي نطمها النصرانية في القدس الشريف وهي القبر المقدس (كنيسة القيامة) ودير جبل صهيون وأمثالها وإما بطرد جميع النصارى من ممالكه . هذا الخطاب السلطاني للكرسي البابوي مؤرخ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٠٣ (آخر ربيع الاول سنة ٩٠٩ هـ) وقد ضاع اصله العربي في جملة ما ابادته الحداث من كنوز مصر العلمية التاريخية واوراقها ومستنداتها الرسمية ولكن احد مؤرخي البرتقال وهو جويس (Goes) قد حفظ لنا ترجمته الكاملة باللغة البرتغالية في التأليف الذي كتبه عن حياة الملك عمانوئيل (Chronica do Rey Emanuel) وبناء على إلحاح السفير المصري كتب البابا يوليوس الثاني الى عمانوئيل يحضه على العدول عن مشروعاته في الهند ولكنه لم يرض بالرد على سلطان مصر قبل ان يسمع اقوال المملكين النعمين . حينئذ خرج موروس من رومية في سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ هـ) الى اسبانيا والبرتقال ولكنه فشل في الاولى ولم ينجح في الثانية بل ان ملك البرتقال جابوب البابا

بكتابه المؤرخ ١٢ يونيو سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ هـ) يلتمس من جانب قدسه ان لا يعير تهديدات السلطان ادنى النفات لان الايرادات العظيمة التي بنالها الغوري من حجاج الاماكن المقدسة تحول بينه وبين ما يتظاهره به من قصد هدمها وقال عمانوئيل انه لا يعبا قط بهذا الوعيد الفارغ

وفي اثناء ذلك كانت جمهورية البنادقة قد ارسلت سفيراً آخر الى القاهرة وهو برناردينو جيوفا (Bernardino Giova) ولقد استقبله السلطان الغوري في قلعة الجبل في يوم ٢٤ مايو سنة ١٥٠٤ (٩ ذي الحجة سنة ٩٠٩ هـ) فحاطه علماً بان البرتغاليين لا يزالون يبعثون باساطيلهم التجارية الى الهند دون ان يكون في وسع البندقية الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون وان الابازير تنهال على لشبونة باسعار ارخص كثيراً مما هي في سوق دمياط والاسكندرية وان البرتغاليين يبيعونها لهذا السبب باثمان منخفضة في انكلترا وفرنسا وفلندره وابطاليا وسائر بلاد اوربة بل ان كثيراً من التجار البنادقة عولوا على معاملة لشبونة حيث الرسوم الكمركية معدومة وانه مع ذلك كله فلا تزال الجمهورية ميالة للتمسك بعلاقاتها القديمة مع مصر ولذلك فاملها وطيد في ان السلطان ينجح في اعادة المياه الى مجاريها بارجاع التيار التجاري الى وجهته الاولى وانها للوصول الى هذه النتيجة تسمح لنفسها بان تسميخ الاذن من السلطان بان يفعل ما تشير به عليه وهو: اولاً - استحضار اكثر ما يمكنه من الابازير والقذف بها في اسواق اوربة لمزاحمة التجارة البرتغالية وتبويرها. ثانياً - المبادرة الى ارسال وكلاء سياسيين الى كشي (Cochin) وكننور (Cananore) لتفهيم ملكيها ان مصلحتها الحالية ومصلحة بلادها المستقلة تقضي عليها بقطع ما بينها وبين البرتغال من علاقات الود والولاء التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب حتى اذا ما ادركا الشراك التي ينصبها لهم البرتغاليون ثاب اليها الرشد وحفظا لانفسها الملك الموروث لها وابقياها لاعتقابهما والا فالعاقبة وخيمة عليها إذ لا بد للبرتغاليين من الاستيلاء على بلادها في يوم قريب او بعيد وثالثاً ارسال السفراء الى السامري سلطان كاليكوت والى سلطان كنباية (Cambaye) لتعزيدهما فيما اخذا به من مدافعة البرتغاليين عن بلادها. نعم ان السلطان احسن كل الاحسان في ارسال بعض الشواني الحربية الى تلك المياه ولكنه يحسن به ان يرسل غيرها ايضاً ليستبقي هيئته وسطوته وليصون تجارته وثروته

احمد زكي باشا

« ستأتي البقية »

سكرتير مجلس الوزراء

علاج الدفتيريا والسل

للدكتور بيرنغ

نعينا الى قرائنا في احد اجزاء المقتطف الاخيرة البروفسور فون بيرنغ البكتريولوجي الالماني الشهير مكتشف طريقة علاج الدفتيريا بالمصل . وقد رأينا ان نقص في هذه المجلة كيفية امتدائه الى هذا الاكتشاف الخطير الشأن فنقول :

لاحظ علماء البكتريولوجيا (علم المكروبات) منذ زمان طويل ان الجرذان البيض لا تصاب بالجذرة عادة في حين ان الجرذان السود تصاب بها فدهشوا لذلك وحاروا في سببه . فحرب بيرنغ التجربة الآتية وذلك انه اخذ شيئاً من مصل دم جرذ ابيض ووضع فيه بعض مكروبات الجذرة فمات بعد اقامتها فيه بمدة وجيزة . فكان هذا الاكتشاف واكتشاف البرفسور « نطل » ان لمصل الانسان وبعض الحيوانات الاخرى خواص مصل الجرذ - اساس المعالجة بالمصل

وفي سنة ١٨٨٨ ذهب بيرنغ الى برلين فعين مساعداً لكونخ في معهد الهيمن حيث تعرف بالدكتورين لفلز وكتساتو الياباني وكانا قد اكتشفا حديثاً مكروبي الدفتيريا والتنتوس وظهر لهما ان سبب هذين المرضين تكاثر مكروباتهما في محل الاصابة من غير ان ننشر في الجسم فكان هذا الاكتشاف خطوة كبيرة في تعليل الامراض الخميرية ودل على ان المكروبات تفرز سموماً قابلة الذوبان يمتصها الجسم فتؤثر في خلايا الجهاز العصبي وغيره من الاعضاء الرئيسة

وفي تلك السنة عينها اثبت الدكتوران رو ويرسن بالتجارب صحة هذا التعليل . فانهما ربياً مكروبات الدفتيريا في المرق ثم رشحاها بأتية فخارية غير مدهونة وحقنا بعض الحيوانات بالمرق فظهرت عليها اعراض الدفتيريا مخففة واطلق على هذا السم اسم التكسين

وكان بيرنغ قد تابع مباحثته وتجاربهُ الاولى فربى بعض انواع المكروبات وحقن بها بعض الحيوانات بمقادير صغيرة فاكسبت مناعة حتى لم تعد الحقن الكبيرة تؤثر فيها تأثيراً فذا خطر على حياتها . واثبت في انابيب الاختبار ان مصل هذه الحيوان اكتسب خاصية امانة تلك المكروبات

وفي سنة ١٨٩٠ أعلن بيرنغ وكتساتو معاً مبدأ المناعة ضد التكسين اي ان الحيوان يوق من الدفتيريا والتنتوس بحقنه حقناً صغيرة متدرجة بمكروباتهما المقتولة بعدما تستنبت

في المرق . فان الحقن بها يولد في دم الحيوان مواد تبطل فعل تكسين المكروبات . وابانا ايضاً ان الحيوان الذي حقن بمصل حيوانات حصلت على المناعة بهذه الطريقة يحتمل حقنة من هذه المكروبات او التكسين تكون قتالة لولا الحقن بالمصل . وانه اذا ظهر على الحيوان اعراض الدفتيريا او التنبوس فقد يشفى اذا حقن بالمصل . وسما المادة الموجودة في مصل حيوان حصل على المناعة « ضد التكسين » . وقد بني بيرنغ وبار على هذا الاساس وجربا المصل في الاولاد فكانت النتيجة حسنة

ورأى الدكتور اميل رو الفرنسي مدير معهد باستور الحالي عظم شأن هذا الاكتشاف فتوصل هو والدكتور لويس مارتين الى ابتداء طريقة لاستعماله ولا تزال طريقتهما هي المتبعة الى الآن في جوهرها مع اختلاف قليل في التفاصيل العرضية . اما طريقتهما فهي انهما حقن بعض الخيل حتى حصلت على المناعة فامكن بذلك استخراج مقادير كبيرة من مصلها وجربا هذا المصل ها وغيرها من الاطباء في مستشفيات باريس فلم تأت سنة ١٨٩٤ حتى كانت معالجة الدفتيريا بالمصل قد قامت على اساس مكين

وقد حصر بيرنغ جهده في الاثنتي عشرة سنة الماضية في وقاية الانسان والحيوانات من السل بتوليد المناعة فيه وفيها . شرع في العمل ونصب عينيه ثلاث قضايا . الاولى ان مكروبات التدرن او السل في الانسان والبقري تنوعات لنوع واحد . والثانية ان الانسان والحيوان يعديان كلاهما في طفولتهما بظريق الفم فيظهر السل فيهما بعد ذلك . والثالثة انه قل ان يسلم احد من الناس او البقر من هذه العدوى قبل البلوغ . اما القضية الاولى والثانية فلم يجمع العلماء على التسليم بهما ولا سيما انه لم تقم بينة ثابتة على صحتهما سوى قول بيرنغ انهما صحيحتان . على اننا لو سلمنا بصحتهما جدلاً للزم عن ذلك ان المناعة الواقية لا تكون فعالة الا اذا عمد اليها في اوائل العمر . وقد حاول بيرنغ بالتجارب اكساب البقر هذه المناعة بتلقيحها بمكروبات التدرن الانساني بعد كسر حداثتها فلم تأت تجاربه طبق ما كان ينتظر منها ولما كانت معالجة الاطفال بمكروبات التدرن الحية متعذرة حاول بيرنغ تحضير خلاصة من المكروبات المقتولة تفي بالحاجة . فحضر خلاصة سمماها « تولاز » وقال انها تكسب الحيوانات مناعة من مكروبات التدرن الحية وتؤثر تأثيراً فعالاً في علاج سل الانسان . ولم تعرف ماهية هذا التولاز تماماً وكل ما عرف عنه انه نتيجة فعل الكلورال هيدرات بمكروبات التدرن وانه غير التوبركولين . ولكن مرت بضع سنوات على اكتشاف التولاز ولم تظهر له نتيجة شافية فاستنتج انه لم يف بالمرام

وقضى بيرنغ نحو عشرين سنة استاذاً للهيكل في جامعة ماربرج ومديراً لمعهد الهيكل
اي منذ سنة ١٨٩٥ الى قبيل موته . وجوزي على اكتشاف مضاد التوكسين سنة ١٨٩٥
جائزة اكاديمي الطب الفرنسية والانسيتو الفرنسي . واغدقت عليه الجمعيات العلمية نياشينها
والقباها . وفي سنة ١٩٠١ حاز جائزة نوبل

بغداد امس واليوم

من شاء ان يعرف شعور البغداديين بما اصابهم بالامس وما اتبع لم الآن فليقرأ الكتاب
التالي وقد نشرته احدى الصحف في ٢٥ سبتمبر الماضي فانه مطابق لما كتب به الينا غير
واحد من فضلاء بغداد وادباءها . قال صاحب الكتاب المشار اليه :

هربت من السجن بعد اقامتي فيه اياماً كثيرة واخفيت في بعض الدور وقلبي كله
امس لما حل ببغداد وابناء بغداد

غادرتها ونار الجور تضطرم في جوانبها تشبهاً باليدي الاثيمة بقتلهم المحرم والبري .
والصغير والكبير والشريف والوضيع

نفوس تهق ودور تهدم واموال تهب واعراض وحرمت تباح قد اناخ الظلم عليها
بكليلة وخبطها بأيديه وارجله فلا اسواق ولا منتزهات ولا مجالس ولا مجتمعات . زفرات
تردد وحسرات انتصعد على حين اعوز الملجأ وفقد المغيث وعدم الناصر وتقام الخطب
وعظم الكرب فلا تسمع من الكلام الا الهمس ولا تنظر في الشوارع الا الرجس

أرى النخيل الباسقة والنسيم يميلها يمينا وشمالاً فاظلمت ارامل اولئك الشهداء قد
ثرت شعورهن في مآتم يندبن فيه جدودهن العاثرات وحرماتهن المنتهكات او كأنها تماثيل
مجد نصبتها الآباء فهي تنوح لما حل بالابناء . كان يشوقي جداً زهر الرمان القاني واكنه
صار يمثل اعيني دماء اولئك الارباء الطاهرة فيغلبني البكاء . وكثيراً ما كنت ارتاح الى
غريراء دجلة فأجلس اليه عند المصائب لاخفف بعض ما في النفس من الآلام ولكني
في هذه المصيبة صرت اهرب منه لاني احسبه انين اليتامى تحت جنح الظلام او انه يئن
جزعاً وحزناً على مجد العرب الدائر وشرفهم المضاع :

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
كيف انام وهل ينام السليم والقوم مسرعون في طلب هذا (الخائن) لم أكن وشرف

عدنان في تلك الساعات المرة مهمتاً بيجاتي اكثر مما كنت مهمتاً بحال اخواني الآخرين .
 تنهمل دموعي فتنصب على خدي فابكي طويلاً ثم ارجع الى نفسي واطمئنها بالفوز واعلها
 بالنجاح وارسم لها في مخيلتي خطة الفلاح فتطمئن وتبرق لها بارقة الرجاء فتستريح . مسكين
 « خيرى » ضعيف الجسم يمضه الحزن ويسقمه الفكر فينام قليلاً في بعض الاحيان . نمت في
 غرفة تطل على الطريق بعد ان قضيت شطراً من الليل في مسمعان الهموم ومعتك الاحزان
 انازل الاهوال وبارز الكروب العظام

اهتزاز في الغرفة شديد وجلبة وضوضاء ووقع اقدام كثيرة في الطريق . انتهت مذعوراً
 وارسلت توجاً نظري نحو الطريق وبالرغم من شدة الريح وتكاثف الظلام رأيت ثلة من
 الجنود التركي قد اجتازت الدار يتخلف عنها اثنان يتهاوسان يقول احدهما لصاحبه : قد
 أخليت المدينة وفي هذه الساعة بهرح قائد الشرطة والدرك بغداد . قال له ذلك ومضيا
 بهرولان خلف رفاقها

بقيت كالخشب المسند لما اعتراني من السرور لا ادري هل ما سمعته في بقطة ام في منام .
 وضح الامر ولم يبق مجال للشك اذ كنت اسمع انفلاق الديناميت في بعض مباني الحكومة
 وأرى لهيب النار المضطربة التي شبهت الظالمون في بعض الدور تشقياً وانتقاماً من اصحابها
 وما حال الديار بهيج حزني ولكن حال من سكن الديار

نهضت فصعدت السلم الى الطابق الاعلى فخيل لي ان السنة النار التي كنت اراها مرتفعة
 في الفضاء السنة اولئك الشهداء المظلومين تدعو على الظالمين بالويل والدمار

علمت ان الامر قد تم فهلت وكبرت ونزلت الى غرفتي انظر الى المارة وهم لفيف من
 الصعاليك طفقوا ينهبون الاسواق والمخازن فنهت الخادم واوعزت اليه ان يسرج لي المصباح
 لاعل نفسي بقراءة شيء من الكتب والجرائد ريثما يلوح الفجر . برق الفجر فنهضت مسرعاً
 وفتحت الباب وخرجت من الدار ايمم الشارع الكبير فكنت ارى الناس زرافات ووحداً
 يمشون في الطرقات تلوح على وجوههم علامات البشر والسرور فتابعته السير حتى وصلت
 دور الحكومة فوجدت فيها طائفة من الصعاليك يتهايمون امرتها وكراسيها وما فيها من
 المنضدات وغيرها ورأيت كثيراً من البنادق الالمانية والتركجية بيد الاطفال والصبيان
 وصادفت في طريقي كثيراً من ابناء السجون فهنأتهم بالسلامة ومضيت في شارع الفشلاق
 العسكري انظر الى الدور المنهدمة والحرائق المضطربة وما تركه الظالمون من آثار الخزي
 والعار وأنا انشد قول جرير في الفرزدق :

و كنت اذا حلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا
 مني انتهيت الى الجسر فوجدته قد أحرق وأغرق فعبرت دجلة الى الجانب الغربي
 لي زورق صغير ايم داري حيث كانت امي الحزينة واولادي الصغار وزوجتي المسكينة في
 الشد الانتظار . رأوني ولكن لا استطيع ان اصف ما اعترام واعتراضي من السرور حينما
 رأيتهم ورأوني . تجد امي قد تعلقت برقبتي تقبلي والصغار يصيحون ويهتفون باسمي وزوجتي
 لا استطيع ان تبدي حراكا . مضت عدة دقائق ونحن في تلك الحال والدروع تفيض على
 الحدود سرورا وفرحا . جلست بينهم هنيئة ثم خرجت من الدار ايم « المسعودي » لاني
 سمعت ان احد جنرالات القائد مود صار قريبا من البلد فماكدت اصل رأس البلد من
 طريق باب الحلة حتى رأيت الجنرال قادما وخلفه شباب الجند اصحاب السواعد المفتولة
 والفضلات القوية من ابناء بريطانيا و ابناء الهند تلوح عليهم سماء الشجاعة والبسالة وتبدو
 على اسرة وجوههم علائم النصر والظفر يقابلون الاهلين بوجوه مستبشرة وثغور باسمية
 يهتفون بوجه هذا ويهتفون بوجه ذاك وعليهم ابهة الرزاة والجلالة وشعار البأس والقوة
 تقابلهم الاهلون بالهتاف الشديد والسرور العظيم كأنهم ملائكة انزلوا من السماء لا تقاذه من
 ابدي الغادين الظالمين

فل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . دخلت جيوش الحكومة البريطانية
 جيوش العدل والانصاف جيوش الحضارة والعمرات وولت جيوش الظلم والاستبداد
 جيوش الهمجية والبربرية جيوش الباطل والكذب واستبدل النحس بالسعد والتمول بالمجد
 والظلام بالنور والحزن بالسرور

وصل الجنرال رأس الجسر الغربي حيث التف حوله اهليلج من الاهلين فنادى مناديه
 من كان خائفا فهو آمن ومن كان اسيرا فهو حر ومن كان يده سلاح فليلقه وليذهب كل
 الى عمله فتفرق الناس وذهبوا الى اعمالهم بهمة ونشاط يرددون الحمد والشكر لبارئ
 السموات اذ نجاهم من الملكة ووقاهم شر الحنة وصرف عنهم العذاب . ولم تمض ثلاثة ايام
 حتى لم يبق في بغداد شيء من السلاح الا وسلم الى الحكومة العسكرية عن طيب نفس
 والشراح صدر

وارخص في الارض السلاح بعدله . فليس يساوي الصارم العضب درهما
 وفي اليوم الثالث دعا الحاكم العسكري موظفي البلدية واقترعهم على وظائفهم وامرهم
 بتنظيف البلد وتنظيفهم وبالجد والاجتهاد في كل ما يؤول الى راحة الاهلين . ثم دعا

الاشراف والوجهاء اليه ووجه انظارهم الى عمران بلدهم وما يحتاجه من مساعداتهم وما توجبه الوطنية عليهم من السعي والعمل في هذا السبيل واوعز اليهم ان ينتخبوا ثمانية منهم لعضوية المجلس البلدي فانتخبوا اربعة من المسلمين واثنين من المسيحيين ومثلها من الموسويين وهكذا انشئ المجلس وجرت امور البلدية على احسن ما يرام . تجدد الكنس والرش صباح مساء في الازقة والاسواق وفرش الآجر لا يزال دائباً في الشوارع وتوى موظفي البلدية ساعين بكل نشاط وراء اعمالهم لا يفترقون طرفة عين . ولم تمض بضعة ايام حتى انشأت الحكومة جسرين صغيرين على دجلة في غاية الاتقان خصصت احدهما للاهلين والآخر للجيش ريثما يتم الجسر الكبير الذي بوشر بانشاؤه ثم اوعزت الحكومة الى ناظر المالية ان يرتب امور الاوقاف وادارتها وان يباشر بتعيين الموظفين الى الولاية ومحققاتها فاطاع ودعا الرؤساء الروحانيين واشراف البلد واسند اليهم انتخاب مدير للاوقاف قادر على ادارتها غيور على تميرها ففعلوا واسفر الانتخاب عن تعيين العلامة الزاهد الورع السيد محمد سعيد الزهاوي مفتي بغداد السابق . ثم باشر الناظر بتعيين موظفي المالية في نفس الولاية وخارجها ففتش عن الرجال القادرين واسند اليهم الوظائف واوصاهم بالمعروف مع الاهلين وحذرهم من الظلم والطيش في الاعمال فذهب كل الى عمله وهو ممتلىء غيرة ونشاطاً . وهكذا قل عن دائرة البوليس ومديرها النشيط وانتخابه ابناء الاشراف واسناده الوظائف المهمة اليهم واشرافه بنفسه على الاعمال ومهرو الدائم على كل ما يجري في بغداد من الامور سعيًا وراء الامن والراحة العمومية فاصبحت دار السلام في تلك المدة القصيرة وهي دار السلام حقيقة لا مجازاً بل اصبحت قرة عين الناظر ومسرح افكار الناظم والناثر بعد ما كانت وكنت واقعاً على دجلة أنشد فيها قبل ايام قليلة :

لُف نفسي عليك بغداد أصبحت	ت وما في حماك إلا الخمول
فيك أضل يا مهبط العلم للجهل	ل مقرر وللبلاء مقل
ليت شعري بغداد تلك وهذي	دجلة ذاك ماؤها السلسيل
لم يضيّق فناءها ذلك الرح	ب ولم يعر ربها التعطيل
فلماذا تغير القوم فيها	وسرى في شعوبها التبديل

نعم ضرب الامن اظنابه في الزوراء في مدة وجيزة بفضل الساهرين عليه من أبناء بريطانيا الكرام ورجعت المياه الى مجاريها وفتحت الاسواق والمخازن وأظهرت دار السلام زينتها فكنت ترى حركة غريبة بعد ذلك السكون والجمود الطويل

أعمال كثيرة وارزاق وفيرة وسعي وحركة مدهشات في كل الاعمال لانهب ولا
سلب ولا قتل ولا ضرب بل حقوق مصانة وسعادة ونعيم . تجد الاهلين نساء ورجالا شبيها
ورشابا على اختلاف مللهم ونحلهم في الصباح والمساء يقطعون الشوارع ذهابا وايابا متجولين
في ساحات وطنهم المحبوب فرحين مستبشرين كأنهم اخرجوا من السجن او كأنهم في يوم
عيد بهيج . واي يوم ابهج او اسعد من يوم فيه أمن الخائف وفاز الآمل وحررت الرقاب
وظهر الحق باجلى مظاهره تحميه تلك القوة العظيمة قوة بريطانيا العادلة

ولا نبالي اذا ما كنت جارتنا ان لا يحاورنا الاك ديار

وفي الايام الاولى من دخول البريطانيين نشر الجنرال مود القائد العام منشورا ابان
لبرغبة بريطانيا وحلفائها في تحرير الامم المظلومة وانقاذها من ايدي الظلم والاستبداد
ولاسبا لامة العربية ذات التاريخ المجيد وصرح لهم انه لم يدخل هذه البلاد الا بصفة
محر ومنقذ خدمة للانسانية وقياما بواجب البشرية ودعا الاهلين الى ان يتكاتفوا مع
الحكومة لادارة شؤنهم ووطنهم ووعدهم بكل خير ومتائم بكل فلاح . فقابل الاهلون
بنشور القائد العام بسرور عظيم وطفقت الوفود من رؤساء العرب واشرافها تقف تباعا على
المرحبي كوكس الحاكم السياسي العام يهنئونه بالنصر ويعرضون عليه الطاعة ويقدمون
له آيات الشكر والثناء على ما قام به الجيش البريطاني من الواجب في انقاذ البلاد والعباد
من مخالب الظالمين فيقابلهم حضرته بما جبل عليه من مكارم الاخلاق باللطف واللين
والبجيلة والتكريم فيخرجون وكلهم أسنة تلج بالثناء على حضرته والدعاء بتأييد حكومة
بريطانيا محررة الامم والشعوب

كثبت هذه الاسطر وانا متجول في عشائر زبيد وقد قابلت جل رؤسائهم كما قابلت
كثيرا غيرهم من الرؤساء فوجدتهم جميعا في اعظم ما يكون من السرور يعلقون آمالا
كبارة على حكومتهم الجديدة في اصلاح شؤنهم وبشكرونها شكرا جزيلاً على اهتمامها
بالعرب ولا سيما بامر جلالة الملك العربي الحسين بن علي وهم متشوقون لاجبار الحجاز
وما يتعلق به من الشؤون والاحوال كما انهم يمتنون في العاجل القريب تظهير الموصل
وسوريا من ارجاس هولاء كوت وتيور وانقاذ اخوانهم الباقين في تلك الاصقاع من مخالب
أبناء جنكيز وما ذلك على حكومة بريطانيا بعز

جزيرة بغداد

السيد خيرى الهنداوي

مراعي المستقبل

ما زال الانسان منذ بدء اهتمامه بالعمران يطلب المراعي لما يربى من الماشية . وكانت هذه المراعي قريبة من مساكنه فلما تحولت هذه المساكن المنفردة قري ومدناً بتقدم العمران وكثر طلب الارض للبناء ارتفع ثمن الارض فجعلت المراعي تنقلص عن مراكز العمران وتنقل الى الارض الرخيصة الثمن التي يتعذر حرثها لسبب من الاسباب . اذ ليس من الاقتصاد في شيء ان الارض التي يخرج الفدان منها خمسة ارادب من القمح مثلاً تترك مراعي للماشية بل ان هذه الارض يجب زرعها حبوباً وبقولاً . فلذلك ترى المراعي تنحسر عن مراكز العمران في كل بلد آخذ بأسباب العمران سواء كان قديم العهد به او حديثه

ورب سائل يسأل الى متى يدوم هذا الانحسار وعند اي حد يقف . فنقول في الجواب انه لا يدوم طويلاً . فحتى شرع النوع الانساني يخطو الخطوة التالية في سبيل التقدم ويحول همه عن الاشياء التي هي اعراض هذه الحياة الدنيا الى الناس الذين هم جوهرها . وعن اختراع المخترعات الكثيرة المحجبة الى اخراج شعوب قوية عجيبة فحينئذ تبطل الحروب ويزداد الناس ازدياداً طبيعياً فيجعل الانسان همه الاول اجهاد الارض لتخرج غايه ما تستطيع من البقول وسائر المزروعات لطعامه ولباسه فتنضائل المراعي على التوالي

علمتنا الجغرافية ان سطح الارض ربعة يابسة والثلاثة الارباع ماء . وهذا وحده كافٍ للدلالة على ان لا غنى للانسان في مستقبل الزمان عن الاعتماد على البحر في استخراج طعامه . فاذا لم يبق لغنمنا وبقرنا ارض ترعى فيها فلا مناص لنا من العدول عن تربيتها واذا لم تبق لنا ماشية نأكل لحمها فلا غنى لنا عن طلب اللحم من مصدر آخر هو الماء . وتاريخ الانسان الماضي تاريخ سفه واسراف من حيث معاملته للحيوانات التي يحتاج اليها في معاشه سواء كانت من الماشية او الطير او السمك

فلنأخذ مثلاً تاريخ معاملته للحيثان اكبر الحيوانات التي دبت على البر او سميت في البحر . فقد ذكر صيد الحوت في القرن التاسع ولكنه لم يصح حرفة قائمة بنفسها واسعة النطاق حتى القرن السادس عشر حينما كثر صيد الصيادين الفرنسيين والاسبان للحوت من بحار اوربا الغربية وجنوا منه الاموال الطائلة . ولم يأت القرن السابع عشر حتى بات

صيد الحوت من اعظم التجارات ربحاً وانتقل مركز هذه الصناعة من اوربا الى شمال اميركا بعد ما رأى هنري هدمن الاميركي في سياحته الاولى الى جرينلندا وجزر سبتزبرجن غير الآلهة ان البحار هناك تغص بالحيتان . فكان يصاد كل سنة منها الف حوت او اكثر . ودام الحال على هذا المنوال سنين كثيرة حتى قال كاتب ان صيد الحوت في تلك المدة كان اربح التجارات الطبيعية التي اشتغل الناس بها منذ اول عهدهم بالتجارة . وحتى قدروا ان يصادوا واحداً باع من الحيتان في سنة واحدة بنحو عشرين الف جنيهه

ثم عقب هذا المدة جزر لم يكن منه بد بعد هذا الاسراف مصداقاً لحكاية المرأة التي كان لها حاجة تبيض كل يوم بيضة ذهباً . فقالت في نفسها ان انا شققت بطنها استخرجت ما فيه من البيض جملة فاغني دفعة واحدة فلما فعلت ذلك لم تجد في بطنها شيئاً . فان الانبال على صيد الحوت افضي الى عمران تلك الاصقاع النائية حتى قامت مدينة في سبتزبرجن تعد عشرين الف نسمة في مدة قصيرة كانها يوم وليلة . فلما انقطع الحوت وبارت تجارتها أقفرت تلك البيوت وامست خاوية ليس فيها ديار

وكان للولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٤٦ اسطول من سفن صيد الحوت عددها قرب من سبع مئة فقامت فيها تجارة قدر رأس مالها حينئذ بسبعين مليون دولار حتى نصبت الحيتان من الاتلانتيكي فدار الصيادون حول اميركا الجنوبية واندفعوا الى الباسيفيكي بصيادون حوته . وقد قال بعض العارفين في كتاب كتبه عن الحيتان انه كان يمر بساحل كلفورنيا ٣٠ الف حوت او ٤٠ الفاً كل سنة من سني العقد الخامس من القرن التاسع عشر . وكانت هذه الحيتان ترى من الساحل وطول الواحد منها يبلغ ٤٠ قدماً او اكثر وكانت انما تقصد خلجان البحر الهادئة تحسبها آمنة لتلد صغارها فكان الصيادون ينقضون عليها وعلى نتاجها فيوردونها حنفها . وما يربح هذا دأبهم حتى استأصلوا الاصل والفرع وحتى لجول الصياد الآن على ظهر الاوقيانس الوفا من الاميال لا يرى حوتاً فضلاً عن ان يصيده والحوت يصاد للدهن الذي يستخرج من جسمه والعظم الذي يستخرج من فكه الاعلى . وكانوا يستعملون الدهن للاستضاءة فلما شاع البترول بطل استعماله وصاروا اذا اصطادوا حوتاً يأخذون عظمه وينبذون دهنه . وكان هذا العظم رخيص الثمن يباع الرطل منه بنحو ثلاثة غروش ولكنه جعل يغلو بازدياد طلبه حتى بلغ سعر الرطل منه نحو ١٣٥ غرشاً . اما لم الحوت فكان ينبذ على كل حال حتى تنبهوا في العهد الاخير الى منفعه بعد ما رأوا اليابان تستعمله طعاماً لها طريقاً وقديداً منذ سنين كثيرة . وقد قدروا ان في الحوت الذي

طوله نحو ٦٠ قدماً من اللحم ما في سبعين ثوراً . وكان لحم الحوت الجيد الطريء يباع في اليابان الرطل بفروش ونصف الى ثلاثة غروش حسب جودته . وما لا يمكن بيعه في اسواق المدن الكبرى طريقاً لسبب من الاسباب كشدة حرارة الهواء او بعد المصايد عن المدن كان يقدد و يوضع في العلب . ويقال ان من لحم الحوت ما اذا احسن تدبيره لم يفرق عن لحم البقر الجيد . وكثير منه يؤكل في زوج

وفي البحر حيوانات اخرى كثيرة لحمها كثير الغذاء طيب النكهة اذا أُحسن تدبيره وهي ليست باحسن حالاً من الحوت من حيث معاملة الانسان لها . واشهر انواعها عجل البحر او الفقمة المعروفة باسم Seal في الانكليزية . فانه طعام اهل الاصقاع الشمالية الذين ليس عندهم الوعل . يصيده الصيادون للتجارة بفروه كما يتجرون بفرو الارنب والثعلب والسنور وغيرها من الحيوانات وينبذون لحمه . وهو لو عني به فقدد و وضع في العلب لسد كثيراً من الافواه الجائعة التي لا تذوق اللحم لغلائه . وبما بدل على عظم فتك الانسان به انه بلغ ما اصطيد منه اربعة ملايين عجل سنة ١٨٦٧ فهبط الى ١٥٠ الفاً سنة ١٩١١ . ولما رأت الدول التي يكثر عجل البحر في ارضها ما آل اليه امره خافت ان ينقرض انقراض كثير من الحيوان قبله ببغي ابن آدم وعدوانه فعقدت انكلترا وروسيا واميركا واليابان مؤتمر سنة ١٩١١ سمته مؤتمر فرو الفقمة الدولي فقررت حمايته في الاوقيانس الباسيفيكي مدة ١٥ سنة بمعنى انه لا يجوز صيده فيه الا على شروط معينة ثقل الفتك به

هذه خلاصة مقالة نشرتها المجلة العلمية الشهيرة التي تصدر في اميركا بقلم احد العارفين . وقد ختمها منيحاً على الناس عامة باللائمة لسوء سلوكهم نحو الحيوانات التي هم في اشد الحاجة اليها في طعامهم ولباسهم وسائر مرافقهم المعاشية فقال : ان الخطأ الذي نسير عليها من جهة طعامنا مبنية على اساس الشهوة دون غيرها . فان معظم الناس يعيشون لياً كلوا وقليل هم الذين يأكلون ليعيشوا . وترانا اذا قدم الينا لون من الوان الطعام لم نعوده اول ما نسال هل هو لذيد الطعم ولا نسال هل هو مغذٍ يقوت الجسم »

اما العنوان فما اخوذ من قول رجل من اهل جزيرة ننتوكت وهي جزيرة قاحلة في عرض الاوقيانس . رأى الحيتان في زمانه — نحو اواخر القرن السابع عشر — تلعب في البحر وتمرح فقال : هذا مرعى نضر لاحفاد اولادنا سوف يقصدونه لاستخراج طعامهم منه . اراد بذلك انهم سيصيدون حوته للتجارة به والربح منه . وقد فعلوا ولكنهم غالوا في صيده حتى كاد ينقرض ولو عني به وبغيره من الحيوانات البحرية المتعددة الانواع

لنفسى بها اولاد اولادنا حاجة عظيمة يوم نقلُ المراعي باتساع دائرة العمران فتقلُ تربية المواشي ويقلُ لحماها وحينئذٍ فلا بد للانسان مما يسدُّ مسدَّهُ الا اذا تحول على التوالي من اكل اللحوم الى اكل الخضر والبقول وهذا ما سيقاد اليه مضطراً لا مختاراً فيما نرى

ولقد اهتمنا بتلخيص هذه المقالة لان موضوعها اكثر انطباقاً على هذا القطر منه على غيره فتكاد المراعي تنقرض منه تماماً وسوف لا يبقى لها اثر فيه حينما تكثر مياه الري ونصير كافية لكل الاطيان التي يمكن اصلاحها وزرعها . والبرسيم الذي يزرع فيه الآن اثن من ان ترعاه القطعان والمواشي المعدة للذبح ولذلك يضطر القطر ان يجلب اكثر ما يذبح فيه من الغنم والبقر من السودان وبلاد الشام . ولكن الغذاء في السمك لا يقل عن الغذاء في لحم الغنم والبقر . وفي القطر اربعة مصادر كبيرة للسمك اولها بحر الروم والبحر الاحمر شمالاً وشرقاً والسمك فيها كثير على انواعه فاذا انتظم صيده على اسلوب علمي كفى القطر وسهل اصدار شيء كثير منه ولو مقدداً

وثانيها البحيرات الكبيرة بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس وبحيرة ادكو وبحيرة مربوط . وهي كثيرة السمك واذا اعني بتربية السمك فيها على طرق علمية وجلبت اليها الانواع الفاخرة منه كفت بلاداً اكبر من القطر المصري

وثالثها بركة قارون وهي بحيرة كبيرة كثيرة السمك يرسل من سمكها من محطتين فقط من محطات سكة الحديد وهما محطة ابو كساه ومحطة ابشواي اكثر من خمسة عشر مليون كيلو في السنة ونظن ان ما يرسل من سائر المحطات يزيد على ذلك كثيراً . وسمكها العريض من اطيب انواع السمك واكثرها غذاءاً للجسم وتوليداً للقوة لكثرة ما فيه من الدهن . ذاقه في العام الماضي رجل فرنسوي من الكبراء الاكولين المشهورين بانتقاد الاطعمة فقال على سمع منا انه الذ سمك اكله في حياته . ولقد احسنت الحكومة بمنع الصيد منها في زمن قريح السمك وحبذا لو اطالت زمن المنع قليلاً لان السمك الذي يصاد منها بعيد زمن المنع يكون صغيراً جداً في الغالب

والرابع النيل والترع الكبيرة المتفرعة منه . ولو جرت المياه الى بعض المواطىء التي لا تزرع لوطوها وربى السمك فيها على طريقة علمية لكان منها دخل كبير لا يستغنى به والخلاصة انه ان عدم القطر المصري المراعي النباتية ففيه مراعى مائية واسعة جداً لتربية السمك والاستغناء بلحمه عن لحم غيره

المعادن وقت الحرب

قال لقرطوبس الشاعر الروماني الذي توفي قبل المسيح بخميس وخمسين سنة « ان اسلحة الاقدمين كانت اياديهم واطافيرهم واسنانهم والحجارة والعصي والنار حلالاً تعلموا اضرامها ثم اكتشفوا استعمال الحديد والنحاس ولكنهم استعملوا النحاس قبل الحديد لان سبكها سهل والموجود منه اكثر »

واشعار العرب الحماسية في الجاهلية والاسلام الى عهد غير بعيد لا يذكر فيها الا السيوف والرماح والحراب والسهم والدرع والتروس والخوذ وما اشبه . وكلها من الحديد او النحاس . ثم اضيفت اليها المجانيق والنار اليونانية الى ان استتبطن البارود في القرون الوسطى فصار اكثر الاعتماد عليه في رمي العدو بما يهدم حصونه ويغرق سفنه ويقتله او يجرحه جروحاً تمنعه من الحرب . وآلة البارود التي تحشى به والقنابل التي يقذفها باشتعاله من المعادن ايضاً فبقي الاعتماد على المعادن مع المواد التي صنع البارود منها

وقد كثرت المعادن التي يعتمد عليها الآن في الحروب فهي الحديد والنحاس والزنك والرصاص والانتيمون والمنغنيس والنكل والكروم والتنجستن والمولبدنم وكلها لازمة جداً فلا يستغني بواحد منها عن غيره ولكن بعضها يستعمل بمقادير كبيرة كالحديد وبعضها بمقادير قليلة كالمعادن التي تستعمل لتقسيمته وصيرورته فولاذاً (صلباً) . والبارود وما يجري مجراه من المنجرات يدخل في تركيبها النتروجين والكبريت والكربون والالومينيوم وبعض المواد الآلية المستخرجة من قطران الفحم الحجري وكلها من المواد الكيماوية ولو لم تكن من المعادن . ولا بد لسكك الحديد واللاتومويلات والسفن على انواعها من الفحم الحجري والزيت والمعادن كالحديد والنحاس . ولا بد للتلفراف السلكي واللاسكي من النحاس والبلاطين . والاطعمة وهي اهم ما يلزم للجنود تستخرج من الارض ولا يكثر مقدارها الا اذا سمدت الارض جيداً بالاسمدة النتروجينية والفوسفورية

وفوق ذلك كله لا تستطيع دولة ان تفوز في حرب ما لم تكن مواردها المالية كافية وما لم يكن عندها ذهب تشتري به ما تحتاج اليه من البلدان الاخرى لان عملة الورق لا تفني اذا لم يكن وراءها ذهب يسندها والعناصر التي تتركب منها الكرة الارضية وما عليها تبلغ نحو ثمانين عنصراً وثلاثون

منها لازمة للحرب فاذا فقدت دولة من الدول بعضها وتعذر عليها جلبه من بلاد اخرى
ننذر عليها ان تتغلب على عدوها مما قويت شجاعة جنودها وصبرهم على المكاره . بل ان فقد
عنصر واحد من العناصر الضرورية قد يكون سبباً لانكسار تلك الدولة

اذا اتضح ذلك ظهر انه ما من دولة تستطيع ان تتسع وتستولي على بلدان كثيرة في هذا
الزمن ما لم يكن في بلادها كثير من المعادن والعناصر الضرورية كالامبراطورية
البريطانية والامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسية . لكن بعض المواد الضرورية
قليلة في المانيا كالنحاس والنيكل والالومنيوم والقصدير والانتيمون والمنغنيس والبترو
ل والنزوجين لكنها تمكنت مع ذلك من تدبير امرها حتى الآن بالمقادير الكبيرة التي جلبتها في
اول الحرب من اسوج ونزوج ولعلها خزنت مقادير منها قبل الحرب استعداداً لها . ولولا
مقاطعة اللورين التي اخذتها سنة ١٨٧١ لكان ما فيها من مناجم الحديد غير كافٍ لمواصلة الحرب
فان مناجم هذه المقاطعة تعادل كل مناجم البلاد الالمانية . ثم انها وجهت همها من اول الحرب
الى الاستيلاء على المقاطعات الفرنسية الغنية بالمعادن فخرمت فرنسا من ٨٥ في المئة من
حاجتها وهي تحارب فرنسا وانكثرتا الآن بمدافع وقنابل مسبوكة من الحديد الفرنسي
ونقسي هذا الحديد وتصيره صلباً بأسلوب استنبطه رجال انكليزيان

وانكثرتا كثيرة الحديد والفحم الحجري وبنقصها معادن اخرى ومواد اخرى لازمة
لحرب ولكن يسهل عليها جلبها من اماكنها لان البحار طوع امرها . واكثر الذهب يستخرج
من البلدان الانكليزية فتشتري به ما تحتاج اليه

اما فرنسا فاهم مناجمها صارت في قبضة الالمان كما تقدم ولكن طريق البحر مفتوح امامها
لجلب ما تشاء وهي بلاد صناعية يسهل عليها عمل ما تريد اذا وجدت المواد الاولية .
وروسيا كثيرة المعادن ولكن استخراج المعادن من مناجمها قليل ولذلك لا تستطيع ان تسلم
كل رجالها ولولا بقاء مقاليد البحر في يد انكثرتا لتعذر ارسال الاسلحة الكافية الى
روسيا والمعادن الاولية الى فرنسا

وقد ظهر احتياج الدول المتحاربة الى المعادن بارتفاع اسعارها المتوالي فالحديد الذي
كان الطن منه يباع في اميركا قبل الحرب بثلاثة جنيهات تضاعف ثمنه هناك قبل نهاية سنة
١٩١٦ وبلغ عندنا اكثر من عشرة اضعاف بما اضيف اليه من اجرة الشحن . والنحاس
الذي كان ثمن الرطل منه اقل من ثلاثة غروش بلغ قبل نهاية سنة ١٩١٦ سبعة غروش .

والزنك الذي كان رطله يُباع قبل الحرب بغرش بلغ ثمنه أربعة غروش في النصف الاول من سنة ١٩١٥ . والفضة التي كان ثمن الاوقية منها ١١ غرشاً في اول الحرب صار الآن نحو ١٨ غرشاً . والانتيمون كان قليل الاستعمال قبل الحرب وكانت الاوقية منه تُباع بنحو غرش ونصف فبلغ ثمنها نحو تسعة غروش في شهر مارس سنة ١٩١٦ . وحينئذ جعلت الصين تستخرج الانتيمون بكثرة وهو كثير فيها فهبط سعره في آخر تلك السنة الى نحو ثلاثة غروش الاوقية . والالومينيوم كان ثمن الرطل منه في بداية الحرب نحو ثلاثة غروش ونصف فصار ١٢ غرشاً سنة ١٩١٦

وبزيادة اسعار المعادن زاد العمل في المناجم وزاد ربح اصحابها . فالمناجم الاميركية التي وزعت ربحاً مقداره ٧٨ مليون ريال سنة ١٩١٥ بلغ الربح الذي وزعته في العام الماضي ١٧٠ مليون ريال

وكان من نتائج هذه الحرب ان تراكم الذهب في الولايات المتحدة الاميركية لان بلدان اوربا المتحاربة اضطرت ان ترسل اليها بالكثير من ذهبها لاقتناء ما تحتاج اليه منها فبلغ ما اجتمع منه فيها في شهر نوفمبر الماضي ٥٤٠ مليون جنيه . وكل ما يستخرج من الذهب الآن من مناجم الذهب في المسكونة كلها يرسل الى الولايات المتحدة . ولعل ذلك من اكبر الاسباب لارتفاع الاسعار

وسيكون للمعادن وكثيرتها وقلتها شأن كبير في اطالة الحرب او قصيرها كما كان للسيوف والسهام والرماح في العصور الغابرة . وما دام الطبع الوحشي متسلطاً على الانسان لم يعدم وسيلة يقتل بها منظره او يوقع الاذى به

وآلة الحرب الرجال والمعادن . وقد كان الاعتماد فيها على قوة الرجال البدنية ومهارتهم في استعمال الاسلحة والكر والفر او الهجوم والدفاع وعلى صلاحية المعادن وجودة طبعها واتقان وضعها . اي كانت الحرب صناعة اما الآن فصارت عملاً يستخدم مادة الرجال والمعادن لقهر العدو على اساليب علمية مدققة . ومما يدعو الى الاسف الشديد ان الطبع الوحشي يستعمل العلم الذي هو اشرف نتائج عقل الانسان للفنك بالانسان



اشتمس وسياراتها حسب نسبة اقدارها اليها
 ١٩١٧ مئة طلف نوفمبر
 امام الصفحة ٤٧٣

بطليموس صاحب الرأي القديم

بسائط علم الفلك

(٢)

ذكرنا في الجزء الماضي مذهب بطليموس في هيئة الفلك وخلاصته ان كرة الارض قائمة في مركز الكون وان الشمس والقمر والنجوم السيارة وغير السيارة تدور حولها دورة كاملة كل يوم من الشرق الغرب كما يظهر لعين الناظر

وقد يظن لاول وهلة ان الذين قالوا بهذا المذهب من علماء الفلك اليونان والرومان والعرب كانوا مثل العامة في هذا العصر الذين لم يدرسوا علم الفلك او لم يقفوا على تفاصيل المذهب الجديد الذي يجعل الشمس مركز النظام الشمسي ويثبت ان الارض والسيارات تدور حولها . وانهم كانوا مثل العامة يحسبون الشمس قرصاً صغيراً كراحتي اليد والقمر مثلاً اراصفر قليلاً والكواكب والنجوم نقطاً منيرة في الفلك . وليس الامر كذلك بل ان جمهور الثقلين حتى رجال الادب كانوا يعلمون ان الشمس والقمر والنجوم كبيرة جداً لا كما ترى بالعين . قال ابو العلاء المعري

والنجمُ تستصغر الابصار صورتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر
اما علماء الفلك فعرفوا ان الشمس والقمر والكواكب والنجوم كبيرة جداً قبل بطليموس وبعده ولم يكتشفوا بهذا القول المحمل بانين اياه على الظن بل قاسوا اجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية وعرفوا مقدارها بما يقرب من الحقيقة وقاسوا ايضاً ابعادها عن الارض وسعة الافلاك التي تدور فيها وشكلها . والنتائج التي وصلوا اليها مبنية على مقدمات صحيحة في الغالب ولم تأت مطابقة للواقع لان آلات الرصد التي صنعوها لم تكن دقيقة
فعرفوا ان الارض كرة من شكل ظلها المستدير على القمر وقت خسوفه ووجدوا بالقياس ان قطرها نحو ثمانية آلاف ميل من اميانا وقالوا ان الشمس اكبر منها نحو ١٦٦ مرة وان قطرها اطول من قطر الارض خمس مرات ونصف مرة وان بعدها عن الارض يبلغ نحو ٨٠٠٠٠٠ ميل . وان القمر اصغر من الارض فان قطره ١١٤١ ميلاً فقط وبعده عن الارض نحو ٢٤٣٠٠٠ ميل . وعطارد اصغر من الارض ايضاً لكنه ليس نقطة في السماء بل هو اكبر من القمر وقطره ١٤٨٠ ميلاً وبعده عن الارض ٦٦٤٠٠٠ ميل . والزهرة اكبر منه ولكنها اصغر من الارض وقطرها ٢٢٢٠ ميلاً وبعدها عن الارض

٣٢٠٨٨٠٠٠ والمريخ أكبر منها وقطره ٤٥٩١ ميلاً وبعده عن الأرض ٣٢٠٨٨٠٠٠ ميل والمشتري أكبر منه كثيراً ومن الأرض أيضاً وهلم جرا. وهالك جدولاً اثبتنا فيه اقطار هذه الاجرام وابعادها عن الأرض حسب ما وجدته المتقدمون قبل بطليموس وبعده الى ان صنع التلسكوب وآلات الرصد الجديدة واقطارها وابعادها عن الشمس كما عرفت الآن

حسب القياس القديم		حسب القياس الحديث	
القطر	البعده عن الأرض	القطر	البعده عن الشمس
عطارد ١٤٨٠	٦٦٤٠٠٠	٢٩٧٤ ميلاً	٣٦٠٠٠٠٠٠ ميل
الزهرة ٢٢٢٠	٢٤٧٢٠٠٠	٧٦٩٢	٦٧٠٠٠٠٠٠
الأرض ٧٨٥٠		٧٩١٧	٩٣٠٠٠٠٠٠
المريخ ٤٥٩١	٣٢٠٨٨٠٠٠	٤٣١٦	١٤٢٠٠٠٠٠٠
المشتري ٣٤٦٦٦	٥١٦٩٦٠٠٠	٨٦٢٥٩	٤٨٤٠٠٠٠٠٠
زحل ٢٩١٦٦	٧٢٣٧٦٠٠٠	٧٢٧٧٢	٨٨٧٠٠٠٠٠٠
الشمس ٤٤٠٠٠	٤٨٠٠٠٠٠	٨٦٦٠٠٠	

ورب فائل يقول كيف قاس القدماء قطر الأرض واقطار هذه الكواكب وابعادها ولم يكن لديهم شيء من آلات الرصد المستعملة الآن

والجواب ان علماء الفلك المشار اليهم كانوا يعرفون من علم الهندسة وحساب المثلثات ما مكنهم من ذلك وهو بما لا يعرفه العامة في عصرنا ولا اكثر الخالصه ولذلك يصعب علينا ان نشرح لجمهور القراء كل الاساليب التي جروا عليها شرحاً يفهمه الذين لم يدرسوا علم الهندسة وعلم حساب المثلثات على الاقل ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله

اما قطر الأرض اي الخط الوهمي المستقيم المرسوم في قلب الأرض من طرف الى طرف ماراً بمركزها فقد يظهر لاول وهلة ان معرفة طول ضرب من المحال ولكن اذا قسنا محيط الأرض اي الخط الذي يدور حولها ويقسمها قسمين متساوين (وسمي عند علماء الهندسة بالدائرة العظيمة) عرفنا طول قطر الأرض من غير ان نقيسه لان القطر نحو ثلث المحيط او اقل من الثلث بقليل. وقياس المحيط كله ليس في الامكان ولا يمكن ان يتوخاه احد ولكن اذا تعذر علينا قياس خط طويل مثل هذا يمر حول البحار والجبال والوهاد لم يتعذر علينا ان نقسمه الى مئة قسم او الف قسم متساوية فاذا قسنا قسمين واحداً منها عرفنا

قياسها كلها. والدائرة تقسم اصطلاحاً الى ٣٦٠ قسمًا متساوية تسمى درجات فاذا قسنا طول درجة واحدة من محيط الارض عرفنا طول محيطها كله. وهذا فعله علماء الفلك من اليونان قبل بطليموس ومن العرب بعده.

اما اليونان فيقال ان عالماً منهم اسمه اراتوستنيس Eratosthenes ولد في القيروان سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية واثبت ثم دعي الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ فاقام فيها الى ان ادركته الوفاة سنة ١٩٤ قبل المسيح. هذا الرجل ألف كتاباً في معرفة جرم الارض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الارض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نصب عمود في الارض هناك لم يظهر له في الظهيرة ظل ممتد شمالاً واذا نصب عمود آخر مثله في الاسكندرية ظهر له ظل شمالي في تلك الدقيقة عينها واذا رسم خط من اعلى العمود الى طرف الظل وجدت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة. فهي درجات المسافة بين الاسكندرية واسوان. والمسافة من الاسكندرية الى اسوان يسهل قياسها والظاهر انها كانت مقيسة حينئذ فاذا قسمت على سبع درجات وخمس درجة عرفت حصّة الدرجة من الارض فتضرب بثلاثمائة وستين درجة فيعرف محيط الارض. ويقال ان المسافة بين الاسكندرية واسوان ٥٠٠٠ ستاد يوم فمحيط الارض ٢٥٠٠٠ ستاد يوم لان السبع الدرجات والخمس تساوي جزءاً من خمسين من المحيط. والستاد يوم يعادل ١٥٧ متراً ونصف متراً او ٥١٦ قدماً ونحو ثلاثة ارباع القدم وعليه فمحيط الارض حسب ما وجدته هذا العالم ٢٤٦٦٢ ميلاً وقطرها ٧٨٥٠ ميلاً. والمعروف الآن ان قطر الارض القطبي اي الخط الممتد من احد قطبيها الى الاخر طوله ٧٩٠٠ ميل.

ثم ان قبة السماء المقابلة للارض مثل نصف كرة مجوفة واذا توهمنا وجود خط عليها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب فذلك الخط نصف دائرة وفيه ١٨٠ درجة. وفي جهة الشمال من السماء نجم يسمى نجم القطب يظهر كأن النجوم كلها تدور حوله والحقيقة انه مقابل لقطب الارض الشمالي اي على طرف محورها الذي تدور عليه في دورتها اليومية نظهر لنا نحن الذين على سطحها كأن نجوم السماء هي التي تدور حول نجم القطب هذا لانه مقابل لطرف محور الارض. ونجم القطب يعاود عن الافق في القاهرة نحو ٣٠ درجة وفي بيروت نحو ٣٤ درجة وفي اسوان نحو ٢٣ درجة اي كلما ابعدنا عن القاهرة درجة شمالاً رأينا ارتفاع نجم القطب عن الافق الشمالي يزيد درجة وكلما ابعدنا عن القاهرة

درجة جنوباً وجدنا ارتفاعه عن الافق ينقص درجة وعلى هذا المبدأ قاس علماء العرب طول الدرجة ومحيط الارض . وهاك ما ذكره ابو الفداء في جغرافيته المسماة بقويم البلدان قال « ان الارض كرية وانها في الوسط فسطح الارض وهو محدبها مواز لمقر السماء والدوائر العظام التي على سطح الارض موازية للعظام الفلكية وتنقسم كاتقسامها على ثلثائة وستين درجة فاذا سار سائر على خط نصف النهار وهو الخط الواصل بين القطبين الشمالي والجنوبي في ارض مستوية خالية من الوهيدات عرية عن الربوات على استقامة من غير انحراف اصلاً حتى يرتفع له القطب او ينخفض درجةً فالقدر الذي ساره من تلك الدائرة يكون حصة درجة واحدة منها وتكون تلك الدائرة الارضية ثلثائة وستين مرة مثل ذلك القدر . وقد قام بتحقيق ذلك طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيره فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من الدائرة العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل . ثم قام بتحقيقه طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بأمره في بركة سنجار واقترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي اقترقوا منه اخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكنهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوه فكان مع احدهما ستة وخمسون ميلاً وثلاثا ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فاخذ بالقل وهو ستة وخمسون ميلاً » اه . ولم يذكر ابو الفداء الا عملاً واحداً والحال انهما عملان جريا في آن واحد احدهما في بركة سنجار من بلاد ما بين النهرين والاخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلفاء العباسيين وكانت وفاته سنة ١٠٠٨ للميلاد . قال سناد بن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجة من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار علي بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن الجعفي في طريق اخرى اما نحن فنوجهنا الى ان وصلنا بين افامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً فوجدناها كذلك علي بن عيسى وعلي بن الجعفي وبعثنا بالخبر فوصل في آن واحد . وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبد الله الملقب بجيش في كتابه . طالع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في بركة سنجار وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل والميل اربعة آلاف ذراع هاشمية والذراع الهاشمية

وضعا المأمون وهي $\frac{٥٤١}{١٠٠٠٠}$ من المتر فالميل العربي يعدل ٢١٦٤ متراً والدرجة من ٥٦ ميلاً وربع الميل اي ١٢١٧٢٥ متراً

اما ابعاد الشمس والكواكب عن الارض فاول من حاول معرفتها بطريقة علمية ارسطرخس الذي نشأ سنة ٢٨١ قبل المسيح فانه راقب البعد بالدرجات بين الشمس والقمر حينما يكون القمر في التربع اي حينما يكون نصف وجهه المتجه الينا منيراً وقاس الزوايا الحاصلة من رسم ثلاثة خطوط بين الشمس والارض والقمر واستنتج منها ان بعد الشمس عن الارض يجب ان يكون بين ثمانية عشر وعشرين ضعف بعد القمر عن الارض. والنتيجة خطأ ولكن الطريقة صحيحة. وقد اخطأ في النتيجة لانه اخطأ في قياس الزوايا. وحاول معرفة بعد الشمس عن الارض من معرفة عرض ظل الارض الذي يمر فيه القمر حينما يخسف والطريقة صحيحة وظل معمولاً بها ١٦٠٠ سنة ولكن النتيجة التي وصل مستعملوها اليها غير صحيحة لانهم لم يستطيعوا ان يقيسوا زاوية اختلاف الشمس بالتدقيق ويقال ان هيرخس الفلكي المشهور اعتمد على هذه الطريقة فوجد ان جرم الشمس يعادل ١٠٥٠ جرماً مثل جرم الارض اي ان قطرهما مثل قطر الارض عشرين مرات وسدس مرة وان نسبة قطر القمر الى قطر الارض كنسبة ١ الى $٣\frac{1}{2}$ وان بعد القمر عن الارض يساوي $\frac{60}{3}$ مرة قطر الارض وبعد الشمس عن الارض يساوي ٢١٠٣ مرة قطر الارض لكن ثيون الاسكندراني قال ان هيرخس وجد ان الشمس اكبر من الارض ١٨٨٠ مرة وان قطرهما اكبر من قطر الارض $\frac{12}{3}$ مرة وبعدها عن الارض ٢٥٥٠ مرة قطر الارض. واما قطر القمر فيساوي $\frac{12}{4}$ من قطر الارض وبعده عنها $\frac{60}{4}$ مرة قطرها فما وجدته القدماء من جهة قطر القمر وبعده قريب من الحقيقة واما ما وجدوه عن انطار الشمس والسيارات وابعادها فاقل من الحقيقة كثيراً كما تقدم. ولم يكن في الامكان معرفة الاقطار الحقيقية والابعاد الحقيقية الا بعد اكتشاف التلسكوب

وقد حاول القدماء معرفة اقدار النجوم الثوابت وابعادها ايضاً فقال البتاني في زيجيه ان النجوم التي من القدر الاول يبلغ بعدها عن الارض ٧٦ مليون ميل وقطر كل منها نحو ٤٠ الف ميل واكثر ما قاله في هذا الباب تحكُّم

ولكن الذي يقضي بالعجب هو الاستمرار على القول بان الارض واقفة في مركز الكون والشمس والنجوم كلها تدور حولها مع ما عرفوه من اقدارها وابعادها ولذلك نقوض مذهبهم حالاً ظهر المذهب الجديد كما سيبي

السلطان حسين كامل

توفاهُ الله ظهر يوم الثلاثاء في ١٩ أكتوبر ١٩١٧

مناقبة

منذ علمت الامة المصرية ان سلطانها العزيز اشتد عليه الداء العياء وانه لا يكاد يرجى له شفاء باتت كثيفة لا يطيب لها عيش ولا يهنأ لها هناء وهي مع ذلك تغالب اليأس بقوة الرجاء وتصرع الى الله ان يخطئ فيه حساب الاطباء حتى صح الصحيح وانقطع حبل الرجاء ولبي سلطاننا العزيز دعوة ربه ففارقت روحه الطاهرة دار العناء والفناء الى جنة الخلد ودار النعيم والبقاء . فامست الامة وهي تبكي فراقه لحاجتها اليه لا لحاجته اليها وتتمنى لو كان يفتدى ان تفتديه باعز عزيز عليها

فقدت مصر بفقدته ذخراً عظيماً وكنزاً لا يقوّم بثمن فما كل يوم توفق الامم بملك عرك الدهر وذاق منه الحلو والمر فاعدته التجارب للحكم وعلمته غير الزمان سياسة الانام . ولم يقيض لمصر في كل حين امير قضى زمان الصبا في بلاد امبراطور من اعظم امبراطرة فرنسا ثم تروض في ميدان السياسة والحكم المطلق على عهد المغفور له والده حتى ادرك فيه الشأو الرفيع وبلغ المنزلة الاولى في السطوة والصولة والهيبه العليا فاحاط علماً بمزايا ذلك الحكم ومساوئه وضارع ابرع حكام تلك الايام في اجتناء منافعهم واجتناب مضاره ولما دار دولاب الدهر واستبدل الحكم المطلق بالمقيد في مصر رأينا الامير حسيناً بصارع نوائب الزمان فعرّفناه عيناً لا عيان مصر ومزارعاً من انجح مزارعي القطر وعاملاً مشاركاً لانباء وطنه في اتعابهم وهمومهم وجاداً في معاونتهم على ما به خيرهم وصلاح امرهم حتى احاط علماً بما تشكو الرعية منه وما تشكر عليه وما هي في غني عنه او في حاجة اليه . واصبح الامير حسين في اعتبار اهل وطنه الصديق الصادق لامتة المشارك لها في السراء والضراء العارف بحاجاتها الشاعر بحقيقة امرها فكان مشكياً ضميمها ومحل ثقتها ومستودع امانها وامالها وصاحب الكلمة المسموعة عندها والمشورة المقبولة بين وجوها واعيانها حتى هاجت هذه الحرب وارتقت مصر من الامارة الى السلطنة فكان السلطان حسين باتفاق ادلي الرأي الصائب والنقد الصحيح خير كفوء للجلوس على سريرها واستلام مقاليدها . وقد اثبتت الايام صحة رأيهم

فانه لما ارتقى رحمه الله الى اريكة السلطنة كانت نيران الحروب والفتن مكثفة مصر من الجانبين . وكان الناس حيارى يصدق عامتهم ما يلقي اليهم من الاوهام والظنون . وكانت القلوب واجفة وكان الناس معرضين لوهم منهم لا لذنوب ولا لخطايا من سوام فأمَد الله سلطاننا وايده بتوفيق من عنده لان البلاد سعدت في عهده سعادة انفردت بها دون سواها من البلدان المجاورة لها بل دون الممالك العظيمة القاصية عنها لان سلطنة مصر نجت في ايامه من غوائل الحرب وويلاتها واوبائها ومصائبها ومجاعاتها ولا من ميازيب الخير والثروة تدفقت عليها والوية السلم تتحقق على ربوعها واهلها رائعون في بحبوحة الامن والراحة لا يخافون غدر عدو ولا مفاجأة طارق على حين نرى الخراب والدمار وسفك الدماء والموت والجوع والامراض منتشرة في اكثر الاقطار التي طالما غبطها هذا القطر على ما تتمتع به من المناء والرخاء والراحة والنعيم

وتناول فقيدنا العظيم صولجان الملك بعزم ثابت وعاهد ربه على ان يعيش لشعبه لا لنفسه ما بقي من عمره . وظهر ما وعى صدره بعد طول الاختبار من حسن السياسة في استمالة رعيته اليه واعادة ثقمتها به فلم يمس الحول على حكمه حتى رأينا الامة المصرية بأسرها اسيرة حبه وطوع اشارته ولم يترك في صدور خاصتها وعامتها اثرًا لخوف من ظلم او غدر او انتقام او محلا لشكوى من ضيم او هضم حق او تعد على نفس او مال . بل رأيناهم منفقين على الشهادة بان سلطانهم خير قدوة لرجال حكومتهم ولافراد رعيته في التزام جادة الحق والعدل وفي المحافظة على دستور البلاد وقانونها وفي الغيرة على ترقية مصالح الامة وعلى تعليم ابناءها وبناتها والتأليف بين قلوب طوائفها

وكم من مرة قال الناس ان السلطان حسينًا اجزل الله ثوابه اعاد الى مصر عهد الخلفاء الراشدين في بره وثقواه واحترامه للعلماء ومحافظة على الآداب وتحمليه بكرم الاخلاق ورقة الجانب والاتضاع . واسر بجوده وكرمه قلوب القريبين والبعدين واطم بسخائه الجياع وكسا العراة وتصدق على الفقراء والمحتاجين

وقد كان او طد سند لوزرائه واعظم حاث لهم على قضاء مصالح الامة واقدر مستعين بالدولة الحامية لهذا القطر على قضاء لبانات ابناء مصر . ونحن نعلم مقاصده الحميدة ومسايعي الحسن مع مساعي صاحب الدولة كبير وزرائه في ابلاغ مصر المنزلة النيابية التي طالما تمتتها والاحكام الذاتية التي وفقا حياتهما السياسية على ادراكها

فبرضى ربه عنه سلامة قلبه وحسن نيته وبما من ربه به عليه من عقل وحكمة وحسن

سياسة وبالسيرة الدستورية التي سارها مدة حكمه والاعمال الصالحة التي بقي ذكرها خالداً بعده حل السلطان حسين اسمي محل من الاعتبار في نفوسنا ومن المحبة في قلوبنا وحق للامة ان تعد فقده خسارة عظيمة منيت بها . وقد ترك خلفه حكماً دستورياً حسن النظام وطيد الاركان حالاً في اعتبار الامة اسمي مكان . وقد ادام الله نعمته لهذا القطر باختيار امير عاقل حلیم ربي في مهاد الدستور وسبر غور الامور وضارع اخاه الفقيد الكريم في صفاء النية وحسن الطوية وحب الخير للامة المصرية فقد جبر الله قلوبنا بسلطاننا العظيم السلطان فؤاد اجمل الله لعظمته ولرعيتيه العزاء واتم على عهده المقاصد الحميدة والاعمال النافعة التي كان ساكن الجنان سلفه بنوياً لهذا القطر والتي توجب لها كليهما جميل الذكر وحسن الاجر

اهتمامه بتعليم الامة

اذا طالعنا تاريخ هذا القطر من اول عهده الى الآن وقابلنا بين الذين جلسوا على عرشه ملوكاً كانوا او سلاطين واستعدادهم الفطري والاكتسابي للاهتمام باهم مصالح سكانه المعاشية لم نجد بينهم من فاق الزاحل العظيم في ذلك . فقد رقي عرش مصر بعد ان ثقل في مناصب الحكومة المختلفة وعاشر كل طبقات الناس في هذا القطر وغيره من الافطار من اصغر فلاح الى اكبر وزير واشتغل باهم اشغال السكان وهي الزراعة بكل فروعها . عمل فيها السنين الطوال وبحث في كل ما يرقى شأنها وشأن المستغلين بها كاقامة المعارض وانشاء النقابات الزراعية

ولما نشرفنا بمقابلته اول مرة مقابلة خصوصية بعد جلوسه على عرش السلطنة المصرية اعرب لنا عن رغبته الشديدة في زيارة المعاهد العلمية كلها مدارس البنين ومدارس البنات لكي يقف على احوال التدريس فيها ويرى ما تحتاج اليه وببذل جهده في ما يرقىها ويأول الى تعميم التعليم والتهذيب في القطر كله

ومما قاله لنا : اني عازم ان شاء الله ان ازور الازهر الشريف واقف بنفسي على اساليب التعليم فيه ولو اقتضت هذه الزيارة ساعة او ساعتين ثم انظر مع المتولين شؤوناً في الاساليب التي ترقى العلوم العصرية حتى تضارع ما فيه من العلوم الشرعية واللغوية . وسأزور ايضاً مدرسة القضاء الشرعي واقف على سير التعليم فيها واهتم بشؤونها لانني احسب ان للتخريجين فيها شأنًا في ترقية اخلاق الامة بنوع عام فاذا تملكتم ملكات الخير استطاعوا ان يقضوا بحق الله ويرشدوا كل الذين لهم اتصال بهم الى خير العمل . ثم ازور مدارس

المعلمين والمعلمات حيث يتعلم مربيو الامة ولا سيما مدارس المعلمات لان تعليم البنات صار من اوجب الامور . وبعد ان افاض في هذا الموضوع قال : وسأزور سائر المعاهد العلمية وكل ماله شأن في رقي الامة . وامرنا ان ننشر ذلك في المقطم لكي يقف عليه العام والخاص . ففعلنا حسب امره . وبره هو بوعده فزار جميع معاهد التعليم غير فارق بين الاجناس والمذاهب . وكثيراً ما كان يقف في حلقات التدريس ويمتحن الطلبة بنفسه ويلقي عليهم نفائس النصائح ودرر الحكم كقوله في مدرسة القضاء الشرعي : —

« كنت اود ان ازورك لابل ان اتشرف بزيارتكم منذ تأسست هذه المدرسة . اقول ان اتشرف بزيارتكم ولا حرج علي في ذلك لانكم انتم علماء المستقبل ورجال الوطن الاكفاء الذين يؤمل منهم خدمته وترقيته بعلمهم وعملهم سواء كان ذلك بجلو سكم على كراسي القضاء الشرعي بعد خروجه من هذه المدرسة لتحكموا بين الناس بالعدل او باشتغالكم بالحاماة او التعليم او غير ذلك من المهام الاخرى التي تجعلكم بمقام المرشدين للامة والمسددين لخطاها . وقد تحقق الآن ما تمنيت فزرت هذه المدرسة ورأيت من بوادر النجاح والتقدم وحسن النظام ما ملأ قلبي سروراً وفرحاً ولكني اوجه انظاركم الى امر جدير بالتأمل والتدبر وهو انكم تعلمون في هذه المدرسة مجاناً على نفقة الامة فان المال الذي ينفق على تعليمكم مجموع من افرادها وقد جمعه بالجد والكد وبذلوه لكم عن طيب نفس فانتم على ذلك مدينون للامة بعلمكم ومدينون لاساتذتكم الذين انفقوا عمرهم وقواهم على تعليمكم وثقيفكم . واول ما يجب عليكم ان توفوا هذا الدين لاساتذتكم ولا متكم ولا يكون ذلك الا بتعاونكم على خدمة الامة والنهوض بها علوها كما علمتكم وانضوا بها كما نهضت بكم واخلصوا لها الخدمة واعملوا جميعاً على ما فيه سعادتها ونجاحها . ان التعاون من اقوى عوامل النجاح والفلاح وقد سمعنا الآن استاذاً من اساتذة هذه المدرسة يلقي درساً على الطلبة في بيان فائدتهم وتأثيره في الاعمال فعمى ان نتعاونوا على اسعاد الامة كما تعاونت الامة على اسعادكم . اني افتخر بكم وارجو ان تكونوا من نخبة رجال المستقبل النافعين للوطن »

ولم يكن يكسفي بالنصح والارشاد بل كانت يهب الهبات السنوية للناغبين والناجمات والاساتذة ايضاً تشيخاً لهم وواظب على ذلك حتى ان الطلبة صاروا بعد قليل اشد افراد رغبته حباً له وبجاهرة بمدحه ودعاء له بطول العمر والتأيد

وكان همه مصروفاً الى تعليم البنات كما الى تعليم البنين يبحث كل ذوي الشأن الذين يشرفون بمقابلته على انشاء المدارس لتعليمهن حاسباً ان ارتقاء البلاد يبتدىء في البيت

وان الام هي المهذبة الاولى للامة او كما قال لنا في حديثه الاول ان تعليم البنات صار من اوجب الامور ولا يكفي ان نتعلم البنات التكلم بالانكليزية او الفرنسية بل لا بد ان نتعلم قبل ذلك تدبير المنزل وتربية الاولاد اي يجب ان نتعلم البنات ليكون ربات بيوت الامة ومربيات الجيل المقبل

ولم يترك مصلحة من مصالح رعيته الحيوية الا اهتم بها . واتفق انه لما توفي لورد كشنر واهتم البعض باقامة تمثال تذكاري له كئنا متشرفين بمقابلته فاقترح ان يكون هذا التذكار مدرسة طبية للبنات ومستشفى للنساء وود ان يفتح لها اكتاب عام ووعد بان يفتح الاكتاب بنفسه بخمسمائة جنيه . وبعد ان القى علينا خطبة نفيسة في هذا الموضوع معززا اياها بالشواهد امرنا ان نكتب ما سمعناه من لسانه فكتبنا ما وعده الذاكرة وعرضناه على عظمته فاستحسنه وامرنا بنشره كما هو فنشرناه في المقطم وكانت النتيجة ان جمعت اموال طائلة لهذا الغرض الحميد واقتدت انكثرا والهند بالقطر المصري في جعل التذكار للورد كشنر مما ينفع البلاد

النعي والتعازي

ارسل نخامة السررجند ونجت نائب الملك التلغراف التالي الى حكومة جلالة الملك « انعى اليكم بملء الاسف السلطان حسين كامل وقد انتقل الى دار البقاء اليوم الساعة الثانية عشرة والدقيقة ١٠ في سراي عابدين

« وسينقل بتشييع جنازته الى جامع الرفاعي في العاصمة « ولا ريب في ان غيرة عظمته ونشاطه في العمل عجلا في وفاته قبل الاوان « وقد امتاز حكمه بالامن والطمانية والتقدم فطرد العدو عن ابواب مصر وزهت الزراعة وبنى باصلاحات جديدة وسيظهر التاريخ ما كانت لشجاعة السلطان المغفور له وشعوره بالواجب والشرف من النصيب العظيم في ما جنت بلاده من هذه الفوائد والنعم « لقد خسرت مصر بفقد السلطان خسارة وطنية ستلقي فيها عطفاً شديداً من انكثرا « واقد طلب مني صاحب السمو البرنس احمد فواد حين ارتقائه العرش ان ابذل حكومة جلالة الملك عزمة على اتباع النهج السامي الذي نهجه السلطان حسين وان يعمل مع حكومة جلالة الملك باتم التعاون والاخلاص في ما يعود على مصر بالخير العظيم والنفع العميم »

وارسل صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء منشوراً تلغرافياً نعى فيه
القييد وهذا نصه

دمت مصر مصيبة عظيمة اذ فقدت مليكها المحبوب فقد اختار ذو العرش والجلال
الى جواره في دار النعيم المقيم صاحب العظمة السلطانية المغفور له حسين الاول ولفظ
النفس الاخير من حياته الطيبة ظهر هذا اليوم (٩ اكتوبر)
ان الراحل الكريم بفائق تفانيه في محبة بلاده وبديع اخلاصه للصلحة العامة في اثناء
المدة الوجيزة التي تبوأ فيها عرش مصر - ويا اسفا على قصرها - بل في جميع ادوار
حياته المباركة قد استحق شكران الوطن

امتاز رحمه الله بمدارك العقل السامي وبهواطف القلب الرحيم فكان على الدوام موضع
الحبة والتوقير في نفوس المصريين بل في قلوب جميع المتوطنين على ضفاف النيل . فلا
غرو ان بكتمه مصر بكاء من يندب كارثة وطنية ، ولا ريب انه في جميع انحاء القطر
لي بيوت الله وفي مساكن الناس من احقر الدور الى اغر القصور ، ستبسط اكف الضراعة
والابتهال الى مولى البرايا ان يتفهم برحمته ورضوانه ذلك الذي سيملأه التاريخ حقاً
وبعداً بهذا اللقب الجميل « ابو الامة »

واني انعي اليكم هذه الفادحة الكبرى وقلبي مفتت من الحزن حسين رشدي
وبعث جلالة ملك الانكليز الى السلطان فواد التلغراف التالي :

ان وفاة اخي عظيمكم المغفور له السلطان السابق قد بعثت شديد الحزن في نفسي
وفي خسارة جسيمة لبلاده التي قام على خدمتها بالاخلاص المتناهي واني موقن ان مجهودات
عظيمكم لخير مصر وسكانها ستصادف النجاح السابق وان حكمكم الذي اتمنى له طول
المدى سيكون مقروناً بالخير والسعادة ويمكنكم الوثوق في منصبكم السامي بمودتي الدائمة
وبتأييدي المستمر جورج الملك والامبراطور

ووردت تلغرافات التعازي من الملكة ومن رئيس وزراء الانكليز ووزير الخارجية
وغيرهم من ذوي المقامات العالية

الاحتيال بدفنه

في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاربعاء في ١٠ اكتوبر خرج نعش القيد العظيم من
سراي عابدين محملة بجارة الركائب السلطانية فاطلق ٢١ مدفعاً من قشلاق عابدين بين كل

مدفع والآخر ٢٠ ثانية ومئة مدفع من القلعة بين كل مدفع وآخر نحو دقيقة وسارت الجنازة في موكب عظيم مهيب لا تدرك العين آخره ولم يسبق له نظير في هذا القطر بتقدمه الحرس السلطاني فرساناً ومشاة ومعهم الموسيقى السواري مجللة بالسواد فجنود الاورطة الثامنة البيادة فالجنود السواري فالموسيقى البيادة فتلامذة المدرسة الحربية فتلامذة المدارس العالية وامامهم رايات مدارسهم مجللة بالسواد فحضرات اصحاب الفضيلة العلماء الاعلام يتقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابو الفضل شيخ الجامع الازهر فنعش الفقيد العظيم يحمله البحارة والى يمينه ويساره صفان من الياوران يتقدم الصف الاول منها حضرة صاحب السعادة شحاته باشا كامل ويتقدم الصف الثاني جناب الميرالاي كني بك الياور السلطاني ويحفظ به موظفو السراي السلطانية وسار وراء النعش حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فواد الاول والى يمينه حضرة صاحب السمو البرنس محمود اخيه والى يساره حضرة صاحب السمو البرنس كمال الدين نجل الفقيد ووراءهم حضرات اصحاب السمو الامراء اعضاء الاسرة السلطانية وهم يوسف كمال وعمر طوسن ومحمد داود وكامل فاضل واسماعيل داود ومصطفى فاضل ومنصور داود وسعيد داود وسليمان داود ونخامة نائب الملك وكان لابسا البذلة العسكرية فخضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وحضرات اصحاب المعالي الوزراء ومعتمدو الدول وقائد الجيش البريطاني وحضرة صاحب المعالي السردار واصحاب السعادة الوزراء السابقون واعضاء صندوق الدين ومستشارو الوزارات ووكلاء الوزارات ومستشارو محكمتي الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبان العموميان وهم متشجون جميعاً بشاراتهم القضائية والمستشارون السلطانيون فاعضاء الجمعية التشريعية يتقدمهم حضرات صاحبي المعالي احمد مظلوم باشا رئيسها وسعد زغلول باشا وكيلها فالرؤساء الروحيون من جميع الطوائف فرجال القضاء الشرعي وباقي رجال القضاء الاهلي والمختلط وهم متشجون ايضاً بشاراتهم الرسمية فضباط الجيش البريطاني والجيش المصري وبعض ضباط البحرية البريطانية وقد سار ضباط الجيش البريطاني البري امام ضباط الاسطول البريطاني في هذا المشهد فالحائزون لنشان النيل من الطبقة الاولى او لرتبة روملي بكربكي من غير الموظفين والمدبرون والمحافظون والمدبرون العموميون والذين من طبقتهم والقناصل فالباشاوات الحائزون لنشان النيل من الطبقة الثانية غير الموظفين ورؤساء الهيئات المالية والتجارية والصناعية الرئيسية فاعضاء مجالس المديرية ومجلس الاسكندرية البلدي ومجالس بور سعيد ودمياط والسويس فتقابات المحامين المختلطة

والاهلية والشرعية فموظفو الحكومة من درجة ناظر ادارة فما فوقها فالاعيان الوطنيون والاجانب ورجال الصحافة فموظفو الحكومة من درجة وكيل ادارة فما فوقها

وظل الموكب سائراً على هذا النظام والمدافع تطلق متقطعة من القلعة والناس صامتون خاشعون كأن على رؤوسهم الطير الى ان بلغوا جامع الرفاعي وكانت الجنود البريطانية الواقفة على جانبي الطرق تحيي النعش بينادقها كلما مرّ بفرق منها ثم تعود فتتكسها قياماً بواجب الحداد . ولما وصل المشهد الى جامع الرفاعي انقسمت الجنود المصرية وتلامذة المدرسة الحربية ورجال الحرس السلطاني الى قسمين ووقفوا جميعاً في صفين مستطيلين الى جانبي الشارع فمر النعش بينهما فخيوه جميعاً النجمة العسكرية ثم ادخل الى الجامع حيث صلى على الفقيد العظيم بامامة فضيلة شيخ الجامع الازهر ونقل بعد ذلك الى الحجرة الملاصقة للمدفن لابداعه اللحد فقبعة حضرات صاحبي السمو البرنس كمال الدين نجده والبرنس اسماعيل داود وصاحبي السعادة عفيفي باشا ناظر الخاصة السلطانية ومحمد باشا فهمي وكيلها وقام ضباط الباوران بدفنه في اللحد الخاص به

وعند ذلك اطلقت بطاريات المدافع التي نصبّت خصيصاً لذلك قرب الجامع ٢١ مدفعا نجدة وتعظيماً

تأبينه

وقد قام شعراء مصر بؤابنونه وفي طلبعتهم صاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وصاحب العزة حافظ بك ابراهيم قال الاول :

لهف ساري الدجي لقد افل البد	ر و طال السرى وغاب الهادي
لهف راجي القرى وحاتم طيء	قد خبت ناره بهذا الوادي
لهف شاكي الصدى اخوانيل قدبا	ت بعيد المزار عن كل صادي
من بغيت المظلوم ان بات يشكو	وحسين عدت عليه العوادي
حبذا طيف نهضة قد ارانا	ه عياناً لم يتفق في رقاد
فكأننا من عابدين خروجاً	ننهادي منها على ميعاد
لم ير الموت رأيه ونقضى	حلم قد سرى باقصي البلاد

وقال الثاني :

دك ما بين ضجوة وعشي
شاخ من صروح آل علي

وهوى عن مهاوة العرش ملك لم نمتع بعهده الذهبي
 قد نساءت يوم مات حسين افقدنا بفقدته كل شيء
 ام ترى يسعد الكنانة بار بها ويقضي لها بلطف خفي
 لم تكذ تدرك النفوس مراداً في زمان المتوج العلوي
 لم تكذ تبلغ البلاد منها تحت افياء عدله الكسروي
 لم يكذ ينعم الفقير بعيش من نداه وفيضه الحامي
 حجب الموت مطلع الجود يا مصر نجودي له بدمع سخي
 ومضى واهب الالوف فولت يوم ولي بشاشة الاريحي
 وقضى كافل اليتامي فويل لليتامي من الزمان العتي
 كم تمنى لو عاش حتى يرانا امة ذات منعة ورتي
 عاله الضعف حين شمر للاصـلاح في ملكه بعزم فتي

* *

حبس الخطب فيك السنة القو ل واعيا قريحة العبقري
 واذا جلّت الخطوب وطمت اعجزت في القريض طوق الروي
 ان شر المصاب ما اطلق الدمـع وراع المفوهين بعبي
 لطف نفسي على انبساطك للضيـف وذبالك الحديث الشهي
 يحسب الدار داره وهو يمشي فوق زاهي بساطك الاحمدي
 خلق مثلاً نشقت اريج الزهر جادته زورة الوسمي
 واهتزاز للعرف مثل اهتزاز السيف في قبضة الشجاع الكمي
 وحياء عند العظيمة بنفي خجل السائل الكريم الابي
 واختبار يثني عنان العوادي ووقار يزين صدر الندي
 رحم الله يا حسين خللاً فيك لم يضمن في نفس حي
 باكرماً حللت ساح كريم وضعيفاً حللت ساح القوي
 قد كفالك السهاد في العيش فاهناً يا اليـف الضنى بنوم هني
 ويح مصر فاي خيط رجاء قطعت رنات صوت النعي

باب المناظرة والمنظرة

فدراً بنا بعد الاختيار وجوب فتح هذا الباب ففنهنا ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهيم وتشميداً لبلادهان ولكن المهنة في ما بدرج فيه على اصحابه فغن براً منه كلوا ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمنظر نظيرك (٢) انما الغرض من المناظر التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غير عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالقالات الوافية مع الامحياز تستغار على المطولة

الولاء في نقد ذكرى ابي العلاء

حضرة الفاضل محرر المقتطف

هذا عنوان رسالة وضعها حضرة الاديب حسن افندي حسين ونقد فيها كتاب الدكتور طه حسين في ذكرى ابي العلاء وقسم نقده قسمين نقد الموضوع ونقد اللغة . ولم يسعني الوقت لقراءة القسم الاول بل قرأت الثاني لقصره ولكن ان كان الاول خلا من التدقيق خلوة الثاني فقد كان جديراً بالكاتب لو كان اكثر تأنيافاً في اصدار نقده لانه منسيب له او عليه

ولست اعلم ما أسمى الخلة التي تجعل الكاتب منا يقدم على النقد قبل ان يستكمل عدته فان عملاً مثل هذا يقتضي جرأة نادرة المثال لو بدت في ميادين القتال لاجتاحت امامها كل شيء . وعندني ان اصعب موقف يقفه الاديب الحقيقي هو موقفه بعد انتقاد كلمة كان يحسبها خطأ فاذا هي صواب . والمخلص الوحيد من هذه التهلكة هي رد كل شيء الى اصله اي تصويب الصواب وتحطئة الخطأ ولو عليه مع الاعتذار الكثير

انتقد صاحب « الولاء » اشياء كثيرة على صاحب « الذكرى » ليست في محلها ولا يستلزم معرفة الصحيح من الخطأ في بعضها علماً كثيراً بل مراجعة وجيزة لقاموس من قواميس اللغة . فانتقد « الجواب عن » وقال ان الصحيح « الجواب على » ولكنني لم اعثر على الثانية في كتاب فصيح طالعتة . والذين استعملوها انما استعملوها حاملين اياها على رد تسميتها . اما الاولى فواردة في كل كتاب فصيح . خذ صبح الاعشى مثلاً تجد في الصفحة ٣٢٦ من الجزء السادس قوله « فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنه بنصه مطلقاً » وتجد

في الصفحة ٣٤٥ من الجزء نفسه قوله : ويؤتى على ما تضمنته المكاتبة وما اقتضاه الجواب عنه الخ . وجاء في تاج العروس « الاجابة رجع الكلام نقول أجاب عن سوء الخ » وخطاً قول صاحب الذكري « واسبغ عليها هذا اللون » وصححه بأصبع هذا اللون . وعندني ان اسبغ اللون استعارة جميلة من اسبغ النعمة . اما الاصباغ فلا وجود له في اللغة الا بمعنى الاسباغ اي بالابدال كما قالوا سلخ وصلخ وسقر وصقر وخطاً « تجارب » وصححها بتجارب والقاموس يجمع تجربة على تجارب دون غيرها . وقال الشاعر العربي :

تخيرن من ازمان يوم حليلة الى اليوم قد جربن كل التجارب

وخطاً « الأ وقد اخذ » وهي صحيحة لا غبار عليها . ففي كتب النحو عند الكلام على الحال انه بندر ذكر قد بلا واو الحال في الجملة الماضية كقول الشاعر « وقتت بريح الدار قد غير البلى » . وندر منه ذكر الواو بلا قد نحو « قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون » اي وقد اقبلوا عليهم . فان وقعت هذه الجملة بعد الأ نحو ما تكلم الأ ضحك وجب تجر بدا منها . وندر اقترانها بعد الأ بالواو كقول الشاعر « الأ وكان لمرتع بها وزراً » . وندر ايضاً اقترانها بقد بلا الواو كقول الآخر

معي يأت هذا الموت لم يلف حاجة لنفسي الأ قد قضيت قضائها
وصححه « الأ وقد »

على ان ذكر الواو بعد الأ في هذه الجملة وارد في كلام الفصحاء (انظر طرائف من ادب العرب الحلقة الثانية في مقتطف مايو الماضي) ففيها قول الشعبي احد كبار علماء الكوفة « ما ذا كرتُه (اي عبد الملك بن مروان) حديثاً الأ وزادني فيه ولا شعراً الأ وزادني فيه » . وقال الامام علي « ان الكوفة لقبه الاسلام لبأثنيها يوم لا بقي مسلم الا وحن اليها » وخطاً قوله « هيامهم فيها » مستشهداً باللسان . فليعد نظره على اللسان يجدها هناك بالقلم العريض . ولكن المصيبة انه قرأ شيئاً وترك اشياء اي قرأ اول المادة ولم يكمل الى الآخر فليقرأ سطرين فقط بعد ما قرأ

وخطاً « سواء صحت اول لم تصح » وقال ان الصحيح « وسواء أصحت الخ » واستشهد على ذلك بالآية « وسواء عليهم أأنذرتهم اولم تنذرهم » ولكن الاستشهاد بالآية لا يدل على ان ذكر همزة الاستفهام واجب . ففي أقوال البلغاء من اهل الجاهلية وصدر الاسلام

حكم كثيرة لم تذكر فيها همزة الاستفهام . والقاعدة انه اذا كانت بعد « سواء » همزة الاستفهام فلا بد من « ام » نقول سواء عليّ ازيد جاء ام عمرو . وسواء عليّ ائت ام فعدت . واذا كان بعدها فملان بغير همزة الاستفهام عطف الثاني « بأو » فيقال سواء عليّ ائت او فعدت . فالقاعدة هي عن ام واو لا عن الهمزة اذ هذه يجوز اظهارها واخفاؤها

وخطأ « بكى على ابيه » وقد ذكرت صراحة في القاموس . وقال الشاعر
عنت على عمرو فلما فقدته وجربت اقواماً بكيت على عمرو

وقال اسحق بن حسان الخزيمي

ولو شئت ان ابكي دماً لبكيتك عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

والله في بكيتك ترجع الى الدم

وفي سورة الدخان « فما بكيت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »

وقال المتنبي يرثي جدته :

بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما

وخطأ قوله « وقلما رأيت فيها بيتاً الا وهو يصلح لأن يكون مثلاً سائراً » والتخطئة

جاءت باردة لانها مصحوبة بنكته في غير محلها لقوله « والواو هنا كالزائدة الدودية » .

ولراجع كتاباً من كتب النحوي تحت باب الحال لرأى غلطه

وخطأ قوله « مبغض للدنيا زاهد فيها مزدر لطلابها » بدعوى ان « مبغض (كذا

والصحيح أبغض) وازدري تتعديان بنفسها » ولا ادري كيف فاته ان لام الدنيا ولا م

طلابها هما لا ما التقوية يوثق بهما لتقوية شبه الفعل على العمل وهذا شيء مشهور عند

النحاة تعد الاطالة فيه لغواً . قال في سورة ق « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد متاع للخير

مستد مر يب » . وفيها « ما يبذل القول لدي وما انا بظلام للعبيد »

النقد جميل ولازم بشرط ان نتخذ له عدته ونتوافر اسبابه . وفي هذا النقد لم نتخذ

عده ولا تهيات اسباب ولا انسنا الروح الجديدة التي اشار اليها ناشر النقد . فانه قال في

كتبه « ان الحقيقة تضع بين الاغراض المتشعبة والمآرب المتباينة ونقد الذكرى يخالف

هذه الروح لتجرده من كل غاية وانسراحه من كل غرض » . ولكن قراءة صفحة واحدة من

الرسالة تثبت للقارئ ان حشوها بالهكم والسخرية معززين بالغلط الكثير وان الخلو من

الغرض ليس شعارها . هذا اقل ما يقال فيها

(منصف)

(الليل اقبل - الصبح اقبل)

يصف الشاعر في القصيدة الاولى خواطر نفسه في ليلة لم تهجع فيها عينه وفي الثانية
يصف ما اوحاه اليه نور الشمس في صباح تلك الليلة

الليل اقبل والمنام حرام
لا تستبين العين نور رجائها
روح يروغها الأسي وتسيرها
اليأس رائد لها وتلك مشيئة
ما العيش إلا عبدة مهراقة
داء الحياة له النفوس فريسة
والسعد يرق كاذب ومزاره
أنا نكتمنا الحقيقة علنا
يابؤس من لا يستقر فؤاده
نلهو ونضحك للوجود وليتنا
ما نحن إلا كالذئب فعيشنا
كل امرئ يلهو بعرض صديقه
واذا نصحت أخا فانت عدوه
والشر سلطان النفوس كأنه
ما تلك إلا خاطرات أخي امي
يقضي سواد الليل يرقب نجمة
ألف الهموم فليس من يشتكي
هو ذلك الطود الذي كمن الامي

أتنام عين ملوؤها الآلام
والنور في عين البئس ظلام
نار لها بين الضلوع ضرام
للدهر لا تقض ولا ابرام
في طيها الاوجاع والاوهام
ودواؤه بين الوري الاحلام
لابن الحقيقة في الحياة لاسام
نحظى بسعد اننا انعام
يا سعد من يهديه الاستسلام
نبكي الوجود لاننا ايتام
غدر وفيه نقطع الارحام
وسلاحه الاغراء والاقسام
فكأنما نصح الفتي ايلام
سر الهناء وللوجود دعاء
نضو الفؤاد حياته اسقام
والنجم ليس بصفيه سلام
للناس حربا في الفؤاد نقام
في جوفه ما دامت الايام

فالصبح اقبل والظلام توارى
سلب العقول وحرر الافكارا
عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
آياته وتداعب الازهارا

قم من سباتك وانظم الاشعارا
لك من شعاع الشمس وحي قادر
ما أنت إلا صوته ترك الالى
تشدو على فنن الوجود مرتلا

بين القلوب وبين صوتك الفة
فكان من نبرات صوتك رحمة
فالبؤس بين الناس طير نائم
تهتز من طرب ولست بمحتس
فكأنما التي الزمان قياده
ما تلك الأقبلة الاشعار في
لله در الشمس غازل ضوءها
كست الجبال مع الوهاد سبيكة
فمن الفؤاد تحل عقد همومه
في كل قلب هائم من نورها
يا شمس غادرت الحقول ضحوة
رقصت لنورك تسترد رضاه
القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى
طرب الحب لشدوها متبسما
حي الصباح معددا حسنايه
واذا مررت على الغدير فقف به
فاركم وهلل للطبيعة خاشعا
وجدت لها بين القلوب قرارا
جعلت ظلام البائسين نهارا
أبكي قلوب البائسين مطارا
خمر الشفاء ولا خلعت عذارا
طوعا لوحيك لا يريد فرارا
ثغر الصباح تزيده انوارا
لنناظرين الطير والاشجارا
من عسجد والنهر سال نصارا
وعن الطبيعة تكشف الامرارا
امل الوصال يحرك الاوتارا
وتركت أمواج البحار حيارى
عنها وقامت تبسط الاعذارا
فيه النسيم يحارب الاطيارا
لشمس وازداد الوقور وقارا
وانس الموم وصاحب الاقدارا
تره قد اتخذ الزهور شعارا
واذكر هناك الواحد القهارا
محمد تيمور

شربة زيت الخروع

زيت الخروع مفيد جدا وكثير من الناس يضطرون باصر الطبيب او يحكم حالتهم الصحية
الناعاطي شربة منه فيجدون له غضاضة ورائحة كريهة يثقل على النفس احتمالها ولهذا ارى
من واجبي خدمة للانسانية نشر فائدة عظيمة هداني اليها احد اخواني تسهل شرب زيت
الخروع وقد جربتها بنفسى كما جر بها غيرى فنجأت وافية بالغرض شافية للمرض وذلك بان
الانسان يتضمض بقليل من السببرتو قبل تناول الزيت مباشرة ثم يمزجه بالقهوة ويشربه
فلا يشعر بشيء من الطعم الثقيل ولا الرائحة الكريهة وذلك لان اعصاب الفم تنحدر من السببرتو
موقعا من غير ألم أو التهاب فيه فليجرب ذلك من شاء الشفاء يعقوب عبد الوهاب

نباتات الصبغة

نباتات الصبغة

(٢)

(٦) القرطم

اسمهُ اللاتيني Carthamus tinctorius, Linn.

اسمهُ الفرنسي Carthame

نبات مصري الاصل والمستعمل منه ازهاره الجافة المعروفة باسم العصفور وهي تصبغ باللون الاحمر كلاً من الحرير والقطن . ويؤثر النور والحرارة في المادة الصابغة في العصفور فيجعله لانه غير ثابتة لذلك ينبغي ان لا تجفف الازهار الا في الظل وان لا تستخرج منها المادة الصابغة الا على البارد وان تحجب الثياب عند صبغها بها عن النور

(٧) التويه

اسمهُ اللاتيني Thuya orientalis, Vahl

اسمهُ الفرنسي Thuya d'orient

شجرة اصلها من اميركا الشمالية ومنتشرة في جنائن هذا القطر ومغلى غصونها الصغيرة يصبغ الصوف بلون اصفر بعد معالجته بنترات البزموت والطرطير

(٨) السرو

اسمهُ اللاتيني Cupressus sempervirens, Linn.

اسمهُ الفرنسي Cypres

شجرة اصلها من جزيرة كريت وهي ذات ثمار تحتوي على مادة قابضة ومغلى اغصانها الصغيرة مع اوراق السنط يصبغ بلون اصفر غامق . ويقال ان تلك الاغصان اذا وضعت مع الثياب صانتها من العث

(٩) البربريس

اسمهُ اللاتيني Berberis vulgaris, Linn.

اسمهُ الفرنسي Epine-vinette

انجم كثيرة الانتشار في اوربا ذات ثمار حمراء تحتوي عصارياً حمضياً وردي اللون يمكن استعماله في صبغ الصوف والحرير والتيل والقطن . وهذه الثمار لا تستعمل لهذا الغرض الا اذا كانت غريضة طازجة . ويمكن استعمال جذور البربريس بدل الكركم^(١) و يقال انها تفضلها . وهي تستعمل في بولونيا وآسيا لدبغ الجلود وصبغ الصوف والعاج والخشب باللون الاصفر

(١٠) الحلبة

اسمها اللاتيني *Frigonella foenum graecum*, Linn.

اسمها الفرنسي *Fenugrec*

نبات معروف يقال ان مغلى بذوره يصبغ باللون الاصفر الزاهي فاذا اضيف الى ذلك المغلى قليل من البيطاس كان اللون اغمق قليلاً . واذا اضيف اليه سلفات النحاس صبغ الصوف بلون اخضر ثابت . او اضيف اليه املاح الحديد صبغه بلون زيتوني او الفوه^(٢) صبغه بلون برتقالي

(١١) لسان العصفور

اسمها اللاتيني *Fraxinus excelsior*

اسمها الفرنسي *Frêne commun*

اوربي الاصل ومغلى قشره يصبغ باللون الاسود المائل الى الخضرة اذا اضيف اليه سلفات النحاس وباللون الاخضر الداكن اذا اضيف اليه خلاص الحديد

(١٢) الشاهترج

اسمها اللاتيني *Fumaria officinalis*, Linn.

اسمها الفرنسي *Fumeterre*

كثير في حقول اوربا والنبات كله يصبغ باللون الاصفر الثابت الصوف والحرير

(١٣) الرمان

اسمها اللاتيني *Punica granatum*, Linn.

اسمها الفرنسي *Grenade*

(١) اسمها اللاتيني *Curcuma Longa*, Linn.

(٢) اسمها اللاتيني *Rubia tinctoria*, Linn.

معروف واصله من جنوب اوربا ومغلى قشره اذا اضيف اليه سلفات النحاس صبغ
باللون الاسود وتستعمل للغرض نفسه ازهاره المسماة بالجلنار
(١٤) الحاشا (الصعتر او السعتر)

اسمه اللاتيني Thymus vulgaris, Linn.

اسمه الفرنسي Thym

منتشر في جنوب اوربا وهو يصبغ باللون الاصفر

(١٥) البنفسج

اسمه اللاتيني Viola odorata

اسمه الفرنسي Violette

معروف واصله اوريبي والمستعمل ازهاره فيستخرج منها بالضغط عصير ازرق جميل
اللون اذا وضع في قناني مقفلة صار لونه احمر واذا عرض للهواء عاد ازرق كما كان

احمد عبد الخالق

موظف بقسم البساتين

القاهرة

الصناعة في القطر المصري

ارتنا هذه الحرب حاجتنا الى اشياء كثيرة . ولا نبالغ اذا قلنا انها ارتنا حاجتنا الى كل
المصنوعات الاوربية من الابرة الى الآلة البخارية ومن المندبل الى شراع السفينة والى كل
مواد الصباغة والطباعة والادوية والعقاقير

وليس في الامكان ان ننشئ معامل لكل ما يصنع حتى نستغني بها عن كل البلدان
ولكننا نلام كل اللوم اذا لم نهتم بصنع المواد التي موادها الاولية عندنا ونستطيع ان نعملها
ولا يكون ثمنها اغلى من ثمن ما يرد منها من الخارج اذا تساوى المصنوعان في النوع والجودة
والمصنوعات التي تتوفر موادها الاولية في هذا القطر هي الصابون والزجاج والقراء
والمنسوجات القطنية والصوفية والنكتانية على انواعها وكل ما يصنع من الجلد والحبوب
والسكر كالنشاء والارواح . واذا كثر البترول والوسخ من مناجم الزيت المصرية ورخص
ثمنه حتى صار ارخص من الفحم الحجري زالت اكبر عقبة من سبيل الصناعات التي تقتضي
قوة كبيرة . واذا استعملت قوة شلال اصوان لتوليد الاسيخة الكيماوية من الجير وتروجين
الهواء استفادت الزراعة كما تستفيد الصناعة

فالصابون قوامه الزيت والنطرون او المادة الزيتية والمادة القلوية ولا بد له من الوقود
التأليف بينهما . والزيت كثير في بزر القطن والمادة القلوية كثيرة في وادي النطرون .
وحطب القطن يصلح وقوداً اذا قُطع وضغط حتى يقل حجمه ويسهل نقله والّا فلا بد من
الاعتماد على الفحم الحجري او البترول الوسخ

والغراء يصنع من الجلود والاذلاف والخوافر والعظام والجير وكلها كثيرة في هذا القطر
والخزف توجد الاتربة الصالحة له في اعالي الصعيد وما يمكن ان يصنع منها لا يضاهي
الخزف الصيني ولا يقابل بخزف سقر ولكن قد يوجد حتى يكفي للآنية العادية من ازار
وخواب وجرار وقدر وصحاف وما اشبه

والزجاج مواده الاصلية الرملية والقلوية كثيرة في القطر . وما يضاف اليها لتلوينها
او لزيادة شفوفها ليس كثيراً الا ان الخزف والزجاج يحتاجان الى كثير من الوقود وهو
اساسها فلا بد من انشاء معاملها حيث تتوفر موادها ويتوفر الوقود او يسهل جلبه
والجلود كثيرة ولا تحتاج في دبقها وصبغها وعمل ما يعمل منها الا الى الجير والقرظ
وبعض الاصباغ والاعمال اليدوية ولا حاجة بها الى الوقود فلا يسهل من التوسع فيها .
وتدل الدلائل على ان القطر سيستغني بما فيه من الجلود وما يصنع منها عما كان يستورده
من الخارج

معمل المستر ولز

وحطب القطن بدل الانثراسيت

اشارت وزارة المالية على اصحاب الآلات التي تدور بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت
باستعمال الآلة التي استنبطها المسترجون ولز لتوليد هذا الغاز من حطب القطن والتبن وما
اشبه . وكان المستر ولز قد دعانا منذ شهرين من الزمان لمشاهدة الآلات التي استنبطها لهذه
الغاية والاعمال التي يعملها الآن فرأيناها ووصفناها في المقطم الصادر في ٢٧ اغسطس وقلنا
في وصفها ما يأتي

اول هذه الاعمال استخراج الغاز من حطب القطن وغيره من المواد الخشبية لادارة
آلات الري التي تدار بالغاز . فان في القطر المصري كثيراً من هذه الآلات وهي تدار
بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت . وقد كان هذا الفحم غالباً قبل الحرب وبلغ ثمن الطن
منه الآن خمسة عشر جنياً . ويقول المستر ولز ان كل طنين من حطب القطن يقومان مقام

طن من غم الاثراسيت . ولا يلزم لاستخراج الغاز من حطب القطن الاً مقطوع صغير
لفرمه وآلة اخرى يحرق فيها على اسلوب يحول كربونه وهيدروجينه الى غاز ثم ينظف
هذا الغاز من المواد التي تنصعد منه بامراره في اساطين فيها ماء يستخرج منه كل انواع
القطران والشوائب الاخرى كما ينظف غاز الضوء . ثم يجري الغاز الى الآلة البخارية التي
تدار باشعاله فيها

وقد ارانا المقطع الذي يقطع حطب القطن وكان يعمل به اثنان واحد يضع الحطب
فيه وآخر يقطعه بادارة دولاب فيه سكينان فيقع قطعاً صغيرة كبراجم الاصابع . وهناك
مقطع آخر تقطع فيه اغصان الاشجار الصغيرة نشرأ . والطن من حطب القطن يبلغ حجمه ٢١
متراً مكعباً فيتمددر نقله بسكة الحديد لكبر حجمه ولكن متى قطع كذلك صار حجمه ٣ امتار
مكعبة فقط فيسهل نقله بها . ويمزج مقطوع حطب القطن بمقطوع الاغصان اليابسة
وتبن الفول ونحوه من المواد الخشبية . ويوضع هذا المزيج في فرن اسطواني من الحديد
فيشتعل فيه اشتعالاً بطيئاً يحله حلاً فتخرج المواد الغازية منه وتنظف وتشتعل في آلات
البخارية فتديرها على ما تقدم

وقد اخبرنا ان الآلة التي كانت دائرة به حينئذ مضى عليها دائرة سبعة وعشرون يوماً .
ثم اطفأ الغاز فوقفت الآلة ورأينا محل اشتعاله فيها لا يزال نظيفاً فهو انظف من غاز الضوء
الذي تضاء به شوارع العاصمة الآن . ثم اوقد الغاز فدارت الآلة حالاً

والآلة التي يستخرج بها هذا الغاز من حطب القطن رخيصة يبلغ ثمنها من مئة جنيه الى
١٥٠ جنينهاً فلا يصعب على كل من عنده مكنة تدار بغاز الفحم ان يشتاع آلة منها
ويظهر لنا انه سيكون للمواد القطرانية التي تفصل عن هذا الغاز وقت تنظيفه شأن
كبير في الصناعة والزراعة والطب والحرب اي في استخراج الاصبغة والاسمدة والادوية
والمواد المتفجرة . وعلى الاقل في استخراج القطران الذي يستعمل في رصف الشوارع . فاذا
جمعت هذه المواد في العزب حيث تستعمل هذه الآلات فلا يبعد ان تباع بما يعادل جانباً
كبيراً من نفقات هذه الآلات . فان غاز الضوء يستخرج من الفحم الحجري في بعض البلدان
الاوربية وينظف ويطلق في الهواء ويكتفى بالقطران الذي يستخرج منه وما فيه من المواد
الكيمياوية لان قيمتها تزيد على ثمن الفحم الحجري ونفقات استخراج الغاز منه

ومعمل المسترولز كبير كثير الفروع وما استخراج الغاز الاً فرع واحد من فروع . فانه
يشتغل ايضاً بعمل الورق من الحلفاء ونحوها وقد ارانا بعض الورق الذي صنعه وهو من

النوع الاصفر الذي يستعمل في الف . اما الورق الابيض فلا بد له من آلة كبيرة لا يقل ثمنها عن عشرين الف جنيه . ويشغل ايضا تجويل الحطب على انواعه الى فحم نقي على اسلوب علمي يفصل به الكربون (المادة الفحمية) عما يخالطه من المواد . وقد ارانا جانباً من هذا الكربون وهو نقي جداً وارانا ايضا بعض ما استخرجه عند تجويل الحطب الى كربون من المواد الكيماوية كسبيرتو الخشب والحامض الخليك وخلات الجير وسوائل كثيرة من نوع الحامض الكربولييك . وعنده خزانة كبيرة فيها حناجر كبيرة مملوءة من هذه المواد . وتدل كتبه الكيماوية والآلات التي ركبها والمواد التي استخرجها على انه من العلماء الكيماويين الذين قرنوا العلم بالعمل ومن المهندسين الذين اشتغلوا بعمل الآلات الميكانيكية ومتى ثبت ان الغاز الذي يستخرجه اوفر من غاز الانتراسيت وان المواد الكيماوية التي يستخرجها يزيد ثمنها على نفقات استخراجها اي متى ثبت بالامتحان المدقق ان عمله صناعي تجاري راجح فلا بد من الاخذ به وقسمته الى قسمين كبيرين الاول لآلات استخراج الغاز لنظام لها ورشة في هذا القطر تصنع فيها وتباع لطلابها من اصحاب المكنتات التي تدار بغاز الانتراسيت والثاني لاستخراج المواد الكيماوية صناعية كانت او زراعية او طبية او حربية وبذلك تجاري مصر البلدان الراقية في استخراج هذه المواد النافعة مما في بلادها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك ما يعود بالنفع على كل عائلة

غلاء المعيشة في مصر

نشرت مصلحة الاحصاء العام جدولاً قابلت فيه اسعار بعض المواد الغذائية والحاجيات الضرورية في شهر اغسطس الماضي بمثلها في شهر اغسطس في العام الماضي وشهر اغسطس سنة ١٩١٥ ورمزت الى اسعار هذه المواد والحاجيات في شهر يوليو سنة ١٩١٤ اي قبل الحرب تماماً برقم ١٠٠ فما زاد عنه كان زيادة في الاسعار وما نقص عنه كان نقصاً فيها . وهذا هو الجدول المذكور

في العاصمة بالمفرق

١٩١٧	١٩١٦	١٩١٥	
١٥٨	١١٣	١٠٤	لحم الضأن
١٥٤	١٢٧	١٠٠	لحم البقر
١٤٣	١٠٧	٨٩	لحم العجول
١١٥	١٠٨	٩٦	لحم الجاموس
١١١	٨٣	٦٩	الديك الرومي
١١٤	٦٦	٧٤	الدجاج
١٠٧	٧٨	٧٥	الحمام
١١٥	٦٢	٦٢	الارانب
١٧٤	١١٣	١٠٠	البيض
١٢٥	١٠٤	٩٧	الزبدة
٢٠٠	١٣١	١٠٠	دقيق القمح
١٦٩	١١٠	٩٧	الخبز الرومي
١٦٧	١٠٦	٨٣	الخبز البلدي
١٣٩	٩١	٩١	الارز الرشيدى
١٧٥	١٠٨	٩٢	الزيت
٨٦	٥٩	٧٢	الحناء
٢٢٠	١٤٧	١٠٠	الصابون البلدي
١٥٠	١٥٠	١٠٠	السببرتو
٢١١	١٧٧	١٢٤	زيت البترول
١٥٠	١٠٧	٩١	متوسط ارتفاع الاسعار

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية في شهر اغسطس المذكور ١١٠ في سنة ١٩١٥ و ١٢٩ في العام الماضي و ١٨٤ في هذا العام فارتفاع الاسعار في الاسكندرية اعظم منه في العاصمة ولكن المرجح ان هذا الارتفاع ناجم عن كون الاسعار في الاسكندرية كانت اوطأ قبل الحرب منها في العاصمة

في العاصمة بالجملة

١٩١٧	١٩١٦	١٩١٥	
١٥٧	١٤٥	١٤٥	السكر
١٠٢	٨٠	٨٧	العسل
٢١٨	١٣٥	٩٩	دقيق الحنطة
١٥٠	١٠٨	٨٩	دقيق النرة
١٧٦	١٠٣	١٠٠	الفول السوداني
١٨٤	٦٤	٨٠	الطماطم
٩١	٤٩	٦٨	البصل
١٠٠	٨٣	٨٣	الموز
—	١٢٤	١١٨	البلح
١٧٠	١٠٨	٨٩	الزيت
١٨٥	١٢٣	١١٠	البيض
١٤٣	١١٠	٩٣	السمن
٨٢	٥١	٦٢	الحناء
١٧١	٩٤	٨١	الارز الرشيدي
٢٢٨	١٧٩	٩٧	الصابون البلدي
١٨٦	١٨٦	١٢٠	السبيرتو
٢١١	١٧٥	١٢٤	زيت البترول
١٦٠	١١٣	٩٧	متوسط ارتفاع الاسعار

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية ٩٨ في سنة ١٩١٥ و ١١٣ في العام الماضي
و ١٦٣ في هذا العام

والحالة في الارياض ليست اصلح منها في القاهرة والاسكندرية بل قد غلاثن كل
ما يباع فيها غلوفاً فاحشاً فالثور الذي كان يباع بخمسة عشر جنيهاً يتعذر مشتراؤه الآن
باقل ثلاثين جنيهاً الى اربعين ورطل الزبدة الذي كان يباع بثلاثة غروش الى اربعة
بساوي الآن ثمانية غروش او تسعة . وكانت تسع بيضات تباع بغرش والآن تباع الثلاث

بغرش . وتضاعف ثمن السمك واكثر الحاجيات ولكن المزارعين خزنوا مؤونتهم من الذرة والقمح والكشك على جاري عادتهم وبعضهم خزن جانباً من محصوله وهو ببيعه الآن بثن غال . فلم يشعر بالضيق الا الاجراء الذين يعملون مياومة ولا زراعة لهم يخزنون منها مؤونتهم

الرياضة

منافعها ومضارها

عضلات الجسم تبلغ نحو نصف زنته وهي تولد قوة تظهر بشكلين الحرارة والعمل . ووظيفتها تمكن صاحبها من الحركة مشياً وركضاً وقياماً وقعوداً ونحو ذلك فضلاً عن انها هي التي تقوم بكثير من وظائف الجسم كالدورة الدموية والتنفس وحركة المعدة والامعاء . وهي تولد الحرارة على الدوام في اثناء تقلصها وتمددتها . فهي لذلك بمثابة فرن للجسم تحرق فيه فضلات الغذاء التي ينبذها الدم . فاذا اكل الرجل من الطعام اكثر مما يلزم جسمه واصبح دمه مفعماً بالغذاء كانت النتيجة احد امرين فاما ان يخزن الفضلة بشكل دهن واما ان تتولى العضلات حرقها

العضلات آلة الرياضة ويظهر لنا عظم شأن الرياضة متى علمنا ان العضلات تنفق من الغذاء وهي متحركة اكثر مما تنفق وهي ساكنة . وعليه يجب على كل منا ان يأكل بنسبة حاجته الفسيولوجية اي بنسبة ما يحتاج اليه كل عضو من اعضاءه في القيام بوظيفته . فالذين تقضي عليهم اعمالهم بكثرة الحركة يحتاجون من الطعام الى اكثر مما يحتاج اليه الرجل الساكن الذي لا يكاد ينتقل من مجلسه في عمله . ثم ان عضلات الرجل الساكن تحرق فضلات الغذاء بابطاً مما تحرقه عضلات الرجل ذي الحركة وعاقبة ذلك ان الرجل الساكن اكثر عرضة للتسمم بهذه الفضلات من الآخر . واعراض هذا التسمم هي سرعة الشعور بالتعب والكسل والصداع ثم نتدرج الى النقرس والروماتزم وغيرها من الادواء التي من نوعها فالرياضة تنشط الدورة الدموية واعضاء الافراز اي الجلد والكليتين فتساعد الجسم بذلك على التخلص من الفضلات الضارة بسرعة . وتنبه الكبد الى العمل والكبد اهم عضو في الجسم لتنقية الدم

والغالب ان يشعر المرء بعد الرياضة بانبساط وانشراح لم يكونا له قبلها وسبب ذلك ان ما نشعر به عادة من الانقباض والاغتمام ناشئ عن تجمع المواد السامة في الجسم فالرياضة تبعد هذه السموم سريعاً بتنشيط الدم ومفرزات الجسم على العمل كما تقدم

على ان الرياضة على منافعها كثيرة الضرر اذا جاوزت حد الاعتدال . والعنيفة منها
تجهد بعض اعضاء الجسم الرئيسة كالقلب والاوعية الدموية اجهاداً مخفوقاً بالخطر الكثير .
وهذا الخطر يزداد كلما تقدم الانسان في السن . وعليه كثيراً ما تجد مشاهير اهل الرياضة
كالصارعين ولاعبى الجمنستيك والعدائين مصابين بامراض في القلب ومعترضين كثيراً
لاتنجاير الاوعية الدموية . وقلاً تسمع بواحد منهم عمر طويلاً
وسنأتي فيما بعد على انواع الرياضة مبنية بالرسموم الكاملة

مرض الشرايين

الشرايين انابيب مرنة تحمل الدم من القلب وتوزعه على الجسم . ولكنها تفقد مرونتها
تدريجياً بتقدم العمر فتغلظ وتبيت قابلة الانقصام . وليست الشينوخة في حقيقة الامر
الأعرضاً من اعراض مرض الشرايين فاذا كانت الشرايين لينة مرنة فالجسم في الغالب
صحيح غضاً واذا كانت قاسية جافة فالجسم فان قبل اوان الفناء
ولا يمكن تعيين الزمان الذي تأخذ الشرايين فيه تفقد مرونتها فان هذا كله يتوقف
على تاريخ العائلات واساليب المعاش . فانك قد تجد شاباً ابن ثلاثين له شرايين الشيوخ
وشيحاً فانياً له شرايين الشباب

واذا غلظت جدران الشرايين واشتد ضغط الدم في اوचितه اثر ذلك في الصحة وطول
العمر من جهتين : فاما ان يزيد عمل القلب فتفضي كثرة عمله الى تضخمه فتقدمه .
واما ان ينفجر شريان في الدماغ فتحدث السكتة الدماغية او الموت فجأة

وقد يكون المرء مصاباً بمرض شدة ضغط الدم من غير ان يشعر به ولكنه قد يضطر
احياناً الى فحص جسمه عند طبيب كما لو اراد التأمين على حياته في بعض شركات التأمين
فيرفض بدعوى ان شرايينه متصلبة ودمه عالي الضغط والأفاذا قبل فرض عليه وهو ابن
اربعين مثلاً ان يدفع من الاقساط السنوية ما يدفع ابن خمسين اي انه في نظر الطب اكبر
مما هو بعشر سنين وفي نظر شركات التأمين معرض للموت مثل ابن خمسين

وليس من السهل في احوال كثيرة معرفة سبب التصلب ولكن يقال بوجه عام ان
غلظ جدران الشرايين وشدة ضغط الدم ناشئان عن دوران بعض السموم مع الدم في
الجسم . والمرجح ان اكثر هذه السموم تدخل الدم بطريق القناة الهضمية اما بسبب كثرة
الاكل او سوء التغذية او السكر او قبض الامعاء او سوء المضغ وما اشبه ذلك

واساس العلاج في هذا الداء حفظ ضغط الدم واطمئنان خشية توقف القلب عن العمل فجأة لفرط اعيائه او خشية السكتة الدماغية . ومما يوصي به الاطباء الاشخاص المعرضين لهذا الداء الامتناع عن شرب المشروبات الروحية او اقلها كثيراً واكل شرب الشاي والقهوة وغيرهما من المنبهات . وتقليل الطعام عند الاكل ومضغ جيداً . والامتناع عن الالعب التي تقتضي حركة عنيفة . وحفظ حالة الامعاء طبيعية . واذا كان المصاب سميناً زائد السمن وجب ان يقلل من سمه ما امكن

العسر

العسر استعمال اليد اليسرى اكثر من اليمنى . وقد ظن خطأ انه في الصغار نذير ببلادة الفهم او البله فلذلك يبذل والدون جهدهم في منع اولادهم ان ينشأوا عسراً . وحقيقة الامر ان سبب العسر نمو اجزاء الدماغ التي تتسلط على اليد اليسرى قبل اجزائه الاخرى . والغالب ان يعنى والدون مزيد العناية باولادهم الذين ينشأون عسراً فيبالغوا في تعويدهم استعمال اليمنى ايضاً حتى اذا شبوا رأيتهم يستعملون كلتا يديهم على السواء لا فرق في الرشاقة واللباقة بين يد واحدة واخرى

زمان تعليم الصغار

يجب ان لا يشرع في تعليم الاولاد القراءة سواء كان ذلك في منازلهم او في المدارس قبل بلوغهم السابعة من سنهم . وقبل بلوغ هذه السن يقتصر على تعليمهم الترتيب والنظافة والنظام في كل شيء . وان المرة ليدهش من سرعة تعلم الصغار ما يراى تعليمهم اياه وتقر بنهم عليه . فانك اذا وقت لهم الاكل مثلاً لا يلبثون ان يجروا فيه على ميقات فلا يطلبوا طعاماً قبل الاجل المضروب . واساس طريقة التعليم المعروفة باسم كندر جارتن هو تعليم الاولاد كيف يشاهدون ما حولهم وينظرون اليه ويتمتعون فيه ويننون الاستدلالات عليه . اما اذا جاوز الولد السابعة من عمره فان دماغه يقوى ببعض الشيء على احتمال بعض التعب فالواجب حينذاك ان يمرن على الدرس بانتظام والآن نشأ كسولاً مهمل . ومن غلطات الوالدين ان يمرتوا اولادهم على الكلام الفارغ وسرعة الجواب ومراجعة ما يسمعون من الاقوال وترديدها كما ترددها الببغاء ظناً منهم ان ذلك دليل الحذق النادر والذكاء الخارق وانما هو دليل دماغ قلق اذا سهل انطباع الاثر عليه فان امحاء امهل . وان بطء الجواب في الاولاد خير من سرعته لانه يدل على التفكير فيما يطرح عليهم من المسائل

كتاب الزراعة

محصول الحبوب في العالم

اصدر المعهد الزراعي الدولي تقديره الرسمي العام لمحصول الحبوب في العالم هذا العام وقد قدرت فيه محاصيل الحبوب كما يأتي:

القمح

١٣٣٤٨٥٠٠٠ قنطار انكليزي (١١٢ رطلاً) في كندا بزيادة ١٣٤١ على

المحصول الماضي

و ١٣٣٩٣٢٠٠٠ قنطار من القمح الربيعي في الولايات المتحدة بزيادة ٥٨٤ في المئة

على المحصول الماضي

و ١٥٩١٩٠٠٠ قنطار في الجزائر بزيادة ١٤٩ في المئة على المحصول الماضي

الجاودار (فضيلة من القمح)

٢٠٩٨٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ٤٤٩ في المئة على المحصول الماضي

الشعير

٢٥٤٢٢٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ٤٣٩ في المئة على المحصول الماضي

و ١٤٢٣٢٠٠٠ قنطار في الجزائر بنقص ٧٧ في المئة على المحصول الماضي

الشوفان

١٢١٣٨١٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ١٣٩ في المئة على المحصول الماضي

و ٤٨٨٠٠٣٠٠٠ قنطار في الولايات المتحدة بزيادة ٢٢٤ في المئة على المحصول الماضي

و ٥٤١٣٠٠٠ قنطار في الجزائر بزيادة ٤٤٢ في المئة على المحصول الماضي

الذرة

١٦٢٤٠٠٢٠٠٠ بزيادة ٢٥٧ في المئة على المحصول الماضي

وقدر جملة محصول القمح في اسبانيا وفرنسا واسكتلندا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان والجزائر: ٨٩٢٢٢٦٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٣٤٣ في

المنة عن جملة المحصول في البلاد المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الجاودار في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة
بـ ٩٧٥ ٤٤ قنطار اي بزيادة ١٠٧ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة
في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشعير في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة
واسكتلندا واليابان والجزائر بـ ١٩٨ ٩٨١ ٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٣٤ في المئة عن جملة
المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشوفان في اسبانيا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة بـ ٥٧٠ ١٤٤ ٠٠٠
قنطار اي بزيادة ١٩٦ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي
وقدر جملة محصول الذرة في اسبانيا وسويسرا والولايات المتحدة بـ ١ ٦٣٦ ٩٩٨ ٠٠٠
قنطار اي بزيادة ٢٥٣ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

النجاح في الزراعة

كل احد معها كان جاهلاً يستطيع ان يزرع الارض ويحني غلتها حتى زنوج افريقية
يعلمون ان يلقوا البذار في الارض فيتمو ويحني من الحبة الواحدة حبوب كثيرة . ولكن
هذه المعرفة لا تكفي الذين يريدون ان يستغلوا من الارض اقصى ما يمكن ان تغله . فان
الرجل الساذج الذي يجهل اساليب الزراعة العلمية اذا جنى من فدان اردبين من القمح
فالذي اتقن الزراعة علماً وعملاً قد يحني منه ستة ارادب او سبعة . وقس على ذلك
سائر المزروعات

ولا يخفى ان هذا القطر قد ضاق بسكانه او كاد يضيق والمرجح انه يمكن ان تزداد اراضيه
الزراعية مليون فدان او مليوني فدان بما يصلح من الاراضي البور وما يحفف من الجبرات .
ولكن هناك حداً لا نتعداه الاراضي الزراعية لان على جانبي الوادي جبلاً لا تعلو المياه
اليها والجانب الغربي من الوجه البحري صحارى قاحلة لا يحتمل ان يزرع منها الا ما جاور
الاراضي المزروعة . والسكان يزدون على نسبة هندسية وتبلغ زيادتهم الآن نحو مئتي
الف نفس في السنة فبعد عشر سنوات يصير عددهم نحو ١٥ مليوناً وبعد عشر سنوات اخرى
يصير عددهم اكثر من ١٧ مليوناً فلا تيسر لهم المعيشة ما لم يجنوا من الارض كل ما يمكن
ان يحني منها

والزراعة اساس الصناعة . والبلاد التي تهمل زراعتها في سبيل اهتمامها بالصناعة تندم

غاية الندم اذا وقعت في شدة كما في الزمن الحاضر فلا يحسن ان نهتم بالصناعة اهتماماً يمنعنا من الاهتمام بالزراعة واجتناء كل ما يمكن اجتناءه من الارض

الزرنخ في الزراعة

كنا منذ نحو اربعين سنة نحول في سهل البقاع على مقربة من قلعة بعلبك فوجدنا قطعاً من الزرنخ استغربنا وجودها هناك ولم نكن نعلم ان الزرنخ موجود في اكثر الاراضي الزراعية وان منه للزراعة فائدة كبيرة . وقد قرأنا الآن مقالة في هذا الموضوع للدكتور غريش الاميركي في المجلة العلمية الشهيرة خلاصتها انه جربت تجارب زراعية كثيرة لمعرفة مقدار الزرنخ في التربة وفائدته للمزروعات وكان يضاف الى الارض بمقادير مختلفة فظهر انه يفيد في زيادة نمو المزروعات كما انه يقويها على النمو وتناول الغذاء كما يقوي الذين يعتادون لفاطيه . ولا يعلم سبب ذلك لانه غير مغذٍ بالذات ولكن يرجح انه يميث المكروبات التي من الانواع الحيوانية (بروتوزوى) ويقوي المكروبات التي من النوع النباتي (باشلس) وهذه الاخيرة هي التي تقدم الغذاء للنبات والاولى تفترس جانباً كبيراً منها فتضعف فعلها فهو مثل احماء التربة واستعمال بعض الغازات السامة على ما اشار به رسل وهتشنسن كما انا غير مرة . وعليه فاذا اضيف قليل من مركبات الزرنخ الى الارض او الى السماد الذي نسمده به كانت منه فائدة زراعية في زيادة خصب المزروعات

العلم في الزراعة

نشر ديوان الزراعة والصيد في البلاد الانكليزية منشورات قال فيها ان تربة البلاد الانكليزية اجود من تربة المانيا ومع ذلك فمئة فدان من المانيا ينتج منها ما يكفي ٧٠ الى ٧٥ من النفوس واما مئة فدان في البلاد الانكليزية فلا ينتج منها الا ما يكفي ٤٠ نفساً وما ذلك الا لتقدم علم الزراعة في المانيا عليه في انكثرا وكثرة الاعتماد على الاسمدة الصناعية في المانيا . والآن قد بُدلت المهمة في البلاد الانكليزية لانتقان الزراعة والاكثار من الاسمدة الصناعية

حفظ الاثمار والخضر

لا يجهل الناس كيفية خزن القمح والفول والعدس والشعير وما اشبه من الحبوب اليابسة حتى لا تفسد كلها في الاشهر التي تجني فيها بل يمتد استعمالها في السنة كلها من

موسم الى موسم . ولكنهم يجهلون غالباً كيفية خزن الاثمار والخضر فاذا جاء اوان التبن اكلوه بضعة اشهر ثم لا يرون تينة الى ان يأتي موسم آخر منه . وقس على ذلك العنب والبرتقال والشمام والبطيخ والمشمش والتفاح والخضر على انواعها كالطماطم والخيار والكوسى والسلق والبامياء واللوبياء . لكن اهل التدبير منهم تمكنوا من تقديد اكثر الاثمار والخضر حتى تجف بزوال الماء منها . فاذا تقعت في الماء عادت الى ما يشبه طراعتها الاولى . او عقدوها بالسكر اذا كانت من الاثمار الشديدة الحلاوة كالتين والكرز او حفظوها في علب لا يدخلها الهواء كالبازلأ والطماطم وذلك لان الشهور التي تكثر فيها هذه الاثمار والخضر قليلة في الغالب في البلدان الباردة وقلم يبق منها شيء اخضر الى فصل الشتاء الطويل . اما نحن في هذا القطر فشتاؤنا قصير جداً . وبعض جهات القطر المصري لا شتاء فيه . ولذلك تطول مدة الفاكهة المصرية كالتين والعنب والشمام والبطيخ . والخضر فلما تنقطع فترى البازلأ والطماطم والبامياء والخيار والكوسى والسلق والسبانخ والكرفس وما اشبه في اكثر السنة . واذا سهلت وسائل النقل في المستقبل وزادت سرعته فلا بد من ان تروج سوق الخضر والفواكه المصرية في اوربا ولا سيما في شهور الشتاء والربيع قبلما تظهر الخضر والفواكه الاوربية . وما لا يمكن نقله منها اخضر لانه سريع التلف يرسل مقدداً اذا انشئت له معامل لتفنن تقديده ووضعه في آنية من الزجاج او الصفيح . والمرجح عندنا انه سيكون لذلك تجارة واسعة بعد سنين قليلة

المواشي والزراعة

ان غلاء اللحم حمل كثيرين من اصحاب المواشي على بيع ما عندهم من العجول والثيران للذبح . نعم ان الحكومة تمنع ذبح العجول الصغيرة ولكنها لا تمنع ذبح العجول الكبيرة فقلت هذه العجول وصرنا نخشى ان الثيران الموجودة الآن في القطر لا تكفي لحث اطيانه . ولا سبيل لجلب الثيران من بلاد اخرى ولا جلب آلات بخارية للحث . ولما قلت عجول البقر التي يمكن ذبحها كثر ذبح عجول الجاموس ولذلك فستقل الجواميس ايضاً كما قلت البقر ومن قلتهما ضرر آخر غير قلة المواشي اللازمة للحث وهو قلة السباخ البلدي الذي عليه اكثر اعتماد الزراعة . ولا علاج لذلك الآن الا الاقلال من ذبح الحيوانات على انواعها . ولا ضرر من هذا الاقلال لان الحبوب والالبان تغني عن اللحم في الطعام كما هو ثابت عملاً واختباراً

بالتقريظ والإعجاب

ديوان ابن الرومي

ابن الرومي هو احد كبار الشعراء المولدين عاش في القرن الثالث للهجرة وكان معاصراً
ليخزي ومات قبله بسنة . وكان يسكن بغداد وله شعر آية في الرقة والانسجام وكثير منه
مخفوط متداول كقوله يصف السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارقاً على الجوّ دُكناً والحواشي على الارض
بطرزها قوس السحاب بأخضر على احمر في اصفر اثر مبيض
كأذبال خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

اهدي الينا الجزء الاول من ديوانه مع شرح له لحضرة الشيخ محمد شريف سليم
الفنش بوزارة المعارف . وقد جاء في مقدمة الشارح ان الديوان طبع على نفقة حضرة
صاحب السعادة احمد حشمت باشا « خدمة للأدب العربية وحفظاً لآثار شاعر حل بالمكانة
السامية في عالم الادب من ان تضعي » الخ

اما « الأدب » العربية فقد خدمت ولا ريب لان ديوان ابن الرومي غير متداول .
ولا يخفى ان المراد « بالأدب » هنا كتب الادب التي يعبر عنها الافرنج بكلمة Literature
واما « الأدب العمومية » فلم نخدم بنشر هذا الديوان ونريد بالأدب العمومية ما اصطلم
الناس على تسمية الاخلاق به . ولا نريد الاطالة في هذا الشأن فان الشارح كفانا مؤونة
ذلك في مقدمته بقوله :

« بقيت لنا مسألتان هامتان جداً الاولى اقتذاع ابن الرومي والحاشه في كثير من اشعاره
واتيانه بالهاجرات التي يحمر لها وجه الادب خجلاً » . ثم اعتذر عن نشرها بقوله : فلو كنا
في مقام اختيار غرر الاشعار لكان حقاً علينا ان نطهر ديوانه من تلك المهجرات ولكننا في
مقام الرواية لما اثر عن ذلك الشاعر فلم يكن لنا مندوحة من حفظ المأثور عنه ليستنبط منه
ما كانت عليه الحال الادبية في عصر الرجل والفائدة التي تكتسب من ذلك جليلة جداً » الخ
ولكن نشر اشعار ابن الرومي التي تضمنت فحش القول وهجره لا يلزم ان تدل على

الحال الادبية في عصره فقد كان البحري من معاصريه وستان بين الاثنين في الادب العالمي . وعندنا انه كان يجب حذف هذا الشعر الخثاني غير مأسوف عليه وبقي الاصل في مكتبة عمومية كدار الكتب السلطانية ليرجع اليه علماء الاجتماع اذا رأوا فيه فائدة في بحثهم نظم المتنبي بعض الشعر البذيء الذي لا تعدُّ بدءاً له شيئاً مذكوراً في جنب ما نظم ابن الرومي . فلما تولَّى بيت اليازجي شرح الديوان حذفوا منه كل « كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الارض » . فلم لا يصنع بشعر ابن الرومي ما صنع بشعر المتنبي ثم اننا لا ندرى لماذا تعب حضرة الشارح في نسخ الديوان عن نسخة كثيرة الخطأ واخذ على نفسه تصحيحه وهو مطبوع في بلاد الهند على ما جاء في كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع »

اوراق متناثرة

كتاب يتضمن « اشتاتاً موجزة نشر معظمها في الصحف والمجلات السائرة » من قلم حضرة الاديب سليم افندي عبد الاحد . وقد توخى في جمعها « اسلوب الغرب في الانشاء وجمع بينه وبين اسلوب العرب » كما قال في المقدمة . وهاك نبذة منه نموذجاً لسائر ما تضمنه وهي نبذة في رثاء زنبقة مترجمة بتصرف جاء منها :

« لست اعلم ايها الزنبقة البيضاء ما تنطوين عليه من اسرار الحياة الغامضة ولكنني اعلم أنك كنت حية تنشق الهواء النقي وتمتعين بأشعة الشمس الدافئة . واراك الآن قد طبقت اجفانك وحنيت رأسك لانك اتممت ما عينته لك الطبيعة في تربتك المحجورة . فطويت اجنحتك البيضاء واقصيت عنك النحلة والفراشة

أجل ايها الزنبقة . لكم اساء اليك الانسان فاقتطف رفيفاتك بيديه وداسهن برجليه وهو يطارد الفراشة من زنبقة الى زنبقة ومن زهرة الى اخرى . اما الآن وقد ذويت ولفحتك اشعة الشمس المحرقة فقد آن لك ان تطأطي هامتك الجميلة وتنضي الى رفيفاتك اللواتي سبقتك . وليس لنا طالبة اليك سوى ان تصفي عن اساءتنا اليك فاننا انشفناك عطشاً واهملناك عن جهل ولم نشعر بخطانا الا عند ما زالت رائحتك الذكية واقطع اريجك الطيب من الحقول التي كانت تزدان بك

ان الانسان ايها الزنبقة يموت فتفسد رائحته واما انت فانك تموتين ورائحتك تعطر تربتك . فاين منك الانسان المتجبر المكدودة انفاسه الحصى شعور رأسه ؟

يقول العلماء ان المادة لا تقبل الفناء ولا يمحى . فاذا كان الامر كذلك فماذا عسانا ان نقول ايتمها الزينة عن الحياة التي هي اثنى بكثير من المادة ؟ هل تفنى حياتك بذبولك وموتك ام هي خالدة في عالم آخر تشعر كما نشعر ونحس كما نحس ؟

مدينة الفسطاط

وقفنا على المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات الاثرية لصاحبها الفاضل يوسف افندي احمد المفتش في لجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف وموضوعها مدينة الفسطاط او مصر القديمة . وقد القاها على بعض مدرسي المدرسة الخديوية وطلبتها اثناء زيارتهم للاماكن الاثرية العربية وتكلم فيها عن مدينة الفسطاط وما جرى فيها من الحوادث الهامة وما كانت فيها من الصناعات والمآثر العربية من مساجد ومدارس وخوانق وربط وزوايا وبيمارستانات وحمامات وخانات وفنادق وقصور ومعامل ومعاصر واسواق الى غير ذلك من آثار الحضارة والمدينة

وقد جعله في جزئين طبع الاول منها اما الثاني فلا يزال تحت الطبع . وثمن الجزء اربعة غروش صاغ

بطرس الاكبر وولده

ترجم هذا الكتاب في ادارة الهلال وجاء في دهباجنه : « ولما كانت احوال روسيا اليوم ثقلة انظار العالم اجمع رأينا ان نقدم الى الجمهور موجزاً من اعمال بطرس الاكبر ولا سيما ما وقع له مع ولده الكسيس معتمدين على ما بسطه الميودى فوجويه الكاتب الفرنسوي الشهير »

تاريخ الاتراك العثمانيين

اهدى اليها حضرة الفاضل حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي الجزء الاول من هذا التاريخ منقولاً عن الانكليزية . والكتاب ثلاثة اجزاء قصر الاول والثاني منها على التاريخ السياسي والاجتماعي الى القرن التاسع عشر للميلاد . واما الثالث فوقفه على تاريخ اللغة التركية وادبائها وشعرائها ووصف الحكومة العثمانية الى غير ذلك . والجزء الذي بين ايدينا يبحث في حكم السلاطين العثمانيين من ارطغرل الى محمد الثاني فاتح القسطنطينية

ذكرى المولد النبوي

رسالة تتضمن خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية وكتابات الاسلام وحكمه تأليف السيد محمد رشيد رضا منشئي مجلة المنار وناظر دار الدعوة والارشاد. نشرت في مجلة المنار تباعاً ثم جمعت في رسالة واحدة وقد افرج فيها حضرة مؤلفها الفاضل خلاصة مباحثه الواسعة وآرائه السديدة فجاءت من خير ما كتبه في المواضيع الدينية والاجتماعية. تباع في مكتبة المنار بشارع عابدين نمرة ٢٥ وثمان النسخة ٤ غروش صاغ

نشرة دار الكتب السلطانية

اصدرت دار الكتب السلطانية « نشرة عن الوارد لرصيد الكتب في سنة ١٩٦٦ » وفيها اسماء هذه الكتب مرتبة بحجب مواضعها وفهرست اسماء المؤلفين المذكورين فيها وهي بالعربية والانكليزية والفرنسوية

مختصر تاريخ المانيا

يتضمن تاريخ المانيا منذ اقدم الازمنة الى نشوب الحرب الاوربية الكبرى في اربعة عشر فصلاً وهو مزين بالصور وقد ترجم في ادارة الهلال

الحان الكنيسة القبطية

محاضرة تاريخية فنية القاها حضرة الاديب توفيق افندي حبيب في كلية البنات القبطية في شهر مارس الماضي وهي تبحث في تاريخ الموسيقى عامة الموسيقى عند قدماء المصريين واليهود والوثنيين والمسيحيين والحان الكنيسة القبطية بوجه خاص.

كتاب السعادة

لابن مسكوية في فلسفة الاخلاق

أهدي اليها هذا الكتاب فاذا هو كراس نصفه مقدمة بقلم حضرة الشيخ سيد علي الطوبجي السيوطي والنصف الثاني راي ابن مسكوية في السعادة

بَابُ الْمَسْئَلَةِ الْكَلَامِ

ففتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقنطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقنطف . ويشترط على السائل (١) ان يضي مسائله باسمه والقابو ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله لنا فليكرره سائلة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كاف

(١) اسباب الضحك والبكاء

السويس . عبد الرحيم افندي محمد .
نرجو افادتنا عن نظريتي الضحك والبكاء
ولماذا لا يضحك الانسان الا اذا سر من
شيء واذا حزن بكى وتساقطت دموعه وهل
من مؤلف عربي يبحث في هذا الموضوع
ج . نجدون خلاصة مباحث العلماء في
هذا الموضوع في المجلد السابع والعشرين من
المقنطف في مقالات متوالية موضوعها
« الصحيح من الفراسة » في الصفحة ٢٧٠
والصفحات الاربع التالية لها كلام عن
امارات السرور ومنها الضحك وفي الصفحة
٣٤٨ وما يليها كلام على امارات الالم والخوف
ومنها البكاء فطالعوها . ولا نعرف كتاباً
عربياً في هذا الموضوع

(٢) حقيقة المنديل

مصر . زكي افندي ابراهيم . الرجاء افادتنا
عن حقيقة المنديل وما رأيكم فيه ولكم مزيد
الشكر
ج . لقد ابدينا رأينا فيه مراراً

وخلاصته ان الشخص الذي يطلب منه ان
يلتفت الى ما امامه فيرى صورة المسؤول
عنه اما ان يكون محملاً فيلقي عليه صاحب
المنديل مسائل مخصوصة وهو يجيب عنها
حسب الاتفاق بينهما . واما ان يكون بسيطاً
فيستهويه صاحب المنديل فينام النوم المغنطيسي
وحينئذ يصير يرى امامه ما يطابق اسئلة
السائل اي يحلم بها كما يحلم النائم لكن نومه
هذا لا يكون كالنوم العادي بل يبقى قادراً
على النطق والتعبير عما يراه في حلمه . وقد
يصدق المنديل احياناً ولكن صدقه يكون
على الصورة التالية : —

لنفرض ان زيداً سُرقت بضائع من
مخزنه فهو والذين يعرفونه جيداً ويعرفون
مخزنه بظن كل منهم ظنوناً كثيرة من جهة
السارق مثل انه احد المستخدمين او الغفير
او الخادم . والغالب ان يصدق احد هذه
الظنون . ومتى شرحت السرقة للذي يرى
في المنديل علقها هو بشخص من الاشخاص
ووصفه وصفاً منبهاً يصدق على كثيرين

ومن هذا القبيل النار التي ثبتت في
سان فرنسكو سنة ١٩٠٦ على اثر وقوع
الزلزلة فيها فانها اتلفت ما قيمته اربعون مليوناً
من الجنيهات وجاءت بعد تلك الزلزلة ضعفاً
على ابالة ولكن لم يحترق بها سوى ٤٠٠ من
السكان

(٤) الشفاء من الزهري

يوسف افندي رأفت . ارجو افادتي
عن شابين في الثلاثين والخامسة والثلاثين
من العمر اصيبا بالزهري وعولجا بحقن ٦٠٦
ثماني مرات لكل واحد منهما و ٧٠ حقنة من
الزئبق وانقطعا عن العلاج نحو عشرة شهور
حلل فيها الدم مرتين حسب امر الطبيب فلم
يوجد فيه شيء . ويقول البعض ان هذا
المرض لا بد ان يعود ولو بعد عشرين سنة
ويقول غيرهم انه اذا لم يوجد بالتحليل مكروب
بعد مضي عام فقد شفي المريض تماماً ولا
يعود المرض اليه من نفسه مطلقاً فاي
القولين اصح وهل يخشى على النسل اذا تزوج
من شفي ومضت سنة ودمه خالٍ من المكروب
ج . القول الثاني اصح اما النسل
فصحة نتوقف على التأثير الذي اثره المرض
في الرجل المصاب قبلما شفي منه لان الشفاء
من مرض لا يستلزم ازالة كل آثاره من
الجسم فان كان المرض قد اضعف الجراثيم
الاصلية التي تدخل في توليد الجنين فهذا
الضعف لا يزول منها ولو شفي الرجل من

فيسمعه صاحب المخزن ويتصوره حسب ما
هو راسخ في ذهنه . فان قال له ان السارق
رجل قصير اسمر قال في نفسه هو اذاً الفقير
او الخادم اي انه يعلق الوصف بواحد من
الذين يتهمهم . والغالب ان الانسان يصيب
في تهمته فيعتقد ان صاحب المنديل ارشده
الى السارق والواقع ان الذي ارشده اليه
انما هو فكره واستدلالة واما صاحب المنديل
فخادع او مخدوع

(٣) اكبر النيران

مصر . امين افندي احمد . ما اكبر
النيران التي ثبتت في المدن وقيمة ما اتلفتها
ج . ان النار الكبيرة التي ثبتت في
مدينة سلا نيك منذ عهد قريب حرقت من
مبانيها وامتعة السكان ومتاجرهم ما قوّم
باربعين مليوناً من الجنيهات وترك مئة
الف منهم من غير مأوى

واعظم منها النار التي شبت في مدينة
شيكاجو باميركا سنة ١٨٧٢ فانها حرقت
١٨٤٠٠ من المباني الكبيرة يسكنها اكثر
من مئة الف نفس وقدر ما اتلفتها بستين
مليوناً من الجنيهات وكانت سببها ان بقرة
كانت تحلب ليلاً فرفست مصباحاً من مصابيح
البترول فالتهب زيتة وهو مشتعل وحرقت
ما اصابه من كوم القش وفي اقل من تسع
عشرة ساعة امتدت النار والتهمت كل تلك
المنازل في ارض مساحتها اربعة آلاف فدان

المرض . وان كان لم يضعفها ولا اثر فيها مطلقاً وُلِدَ النسل سليماً ولو كانت المرض باقياً في الجسم . ولذلك تجدون بعض اولاد المصابين بهذا الداء الخبيث من اجود الاولاد صحة وتجدون البعض الآخر سقيماً او مصاباً بالداء نفسه . ومع ذلك فشفاء الوالد قبل تزوجه اسلم لنسله من عدم شفائه

(٥) الطب والفلك عند المتقدمين والمتأخرين مصر . محمد افندي كامل الغمراوي .

قامت امامي مناقشة بين استاذين جليلين حول علمي الفلك والطب قديماً وحديثاً فكان من رأي احدهما ان المتقدمين لم يدعوا منها للمتأخرين شيئاً يذكر بل وصلا الى هؤلاء ناضجين ولعرب فيها ابحاث جزئية قلما يحفلهم فيها المتأخرون خصوصاً ابحاث ابن سينا في الطب . وكان من رأي الآخر ان نضجها لم يتم الا على ايدي المتأخرين فعلم الفلك لم يتقدم وينضج الا بعد اكتشاف غليليو التلسكوب . وعلم الطب عاقه عن التقدم ازماناً طويلة تحريم تشريح الموتي فاهما اقرب الى الصواب

ج . اذا رمزنا الى العلوم الطبية كلها بالعدد مئة جاز لنا ان نقول ان ثمانين منها تنسب الى القرن التاسع عشر وما مضى من القرن العشرين بل الى الاربعين سنة الاخيرة . والعشرين الباقية الى كل ما قبلها من السنين . واذا رمزنا الى علم الفلك

بالعدد ١٠٠ فتسعون منها للثلاثة القرون الاخيرة وعشرة لكل القرون التي قبلها . واهم اكتشاف في علم الطب والجراحة اكتشاف اصل الامراض الميكروبي وما ترتب عليه من معالجتها بالتطعيم والوقاية . واهم اكتشاف في علم الفلك اكتشاف التلسكوب والسبيكتروسكوب فانهما اوصلا علماء الفلك الى معرفة مقادير الاجرام السماوية وحركاتها وابعادها والعناصر الداخلة في تركيبها

(٦) السكر والزهرى

مصر . علي افندي خطاب . اي المرضين اشد ضرراً السكر ام الزهرى واهما اقبل للشفاء التام ولا يخشى من عودته بعد ما يشفى ج . ان الزهرى داء خبيث وسببه قبيح وهو داء ان في وقت واحد داخلي وداخلي وداخلي وضرره بدني وادبي معاً ومن يصب به قد يشفى بعد تعب كثير ولا ينتكس ولكنه يحاول كتمان جهده لان سببه مخالفة الآداب العمومية المرعية عند فضلاء كل الامم . وداء السكر ضرره بدني فقط ولا يخشى من يصاب به ان يجاهر بذلك على رؤوس الاشهاد ولا دواء يشفي منه كما يشفى الزهرى ولكن الحمية تضعفه حتى يعمش المصاب به سنين كثيرة كأنه سليم من الداء . ونظن انه لو خير الانسان بين هذين الداءين وكان لا بد له من احدهما لاختار داء السكر لا الزهرى

(٧) الموت من السرور

مصر . الخواجه ابلي بلتنر . اعرف احد الناس توفي من كثرة السرور وذلك انه كان في حالة ضحك شديد ثم ورث ارثاً كبيراً فعندما ورد اليه هذا الخبر توفي من كثرة الفرح فما هو سبب الوفاة

ج . ان السرور يهيج الاعصاب فاذا تهيجت حركات العضلات المتصلة بها والاورعية الدموية ايضاً فاذا كان السرور معتدلاً حرك عضلات الفم التي تسبب الضحك واذا زاد على ذلك حرك عضلات الابدني والارجل فيصفق الاولاد طرباً ويرقصون مرحاً اذا زاد فرحهم . وقد يحرك عضلات الرئتين والقلب فيزيد التنفس وخفقان القلب وربما زاد على ذلك اذا كان قوياً مفاجئاً حتى نتمزق به صمامات القلب فيموت صاحبه

(٨) نقد المنسوجات

ومنه . ما هي الطريقة لمعرفة الجيد والردىء من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

ج . تعدد اولاً الخيوط التي في كل سنتيمتر من النسيج فاذا تساوت بقية الاوصاف والشروط فالذي فيه خيوط اكثر هو اجود من الذي فيه خيوط اقل . ثم تنسل بعض الخيوط وتحل بالمؤلف منها من خيطين مثنيين اثن من المؤلف من خيط واحد .

والمؤلف من ثلاثة اجود من المؤلف من خيطين . ثم يحل كل خيط حتى تصل الى اليافه الاصلية فالذي اليافه طويلة اجود من الذي اليافه قصيرة والذي اليافه متجمدة اثن من الذي اليافه بسيطة . واذا كانت المنسوجات مصبوغة فالذي صبغه لا يتلف الالياف اجود من الذي صبغه يتلفها

(٩) ميعاد الولادة والموت

الجرايع . الياس افندي جرجس . هل من المؤكد ان كل انسان يموت في زمن ولادته اي اذا ولد مثلاً في فجر النهار يموت في فجر النهار

ج . كلاً ولا نعلم ان احداً قال بذلك واثبتة بالدليل

(١٠) فقد النطق

ومنه . عندنا غلام في الثانية عشرة من عمره ولكنه غير قادر على الكلام مع انه يسمع ويفهم ويعقل وقد يتلفظ بكلمات قليلة ولكنه لا يحسن النطق بها وكل اخوته يحسنون النطق فما علته وماذا يعمل له

ج . يظهر لنا ان مركز النطق في دماغه مصاب بعلة اما من مرض واما من آفة اصابته في طفولته فضغط جزء من عظم الدماغ على مركز النطق فان كان الثاني فقد يشني بعملية جراحية تزيل هذا الضغط والا فلا

بالاحكام العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٦	٧	٣ مساءً
الملال	١٤	٨	٢٧
الربع الاول	٢٢	٠	٢٩ صباحاً
البدر	٢٨	٨	٤١ مساءً
القمر في الاوج	٨	٧	٢٤
الحضيض	٢٤	٨	٣٠ صباحاً

السيارات

عطار - لا يشاهد في اول الشهر ثم
بصر كوكب مساء في آخره
الزهرة - تكون كوكب مساء
المرج - يشرق نحو نصف الليل
المشتري - يشاهد اثناء الليل
زحل - يشرق نحو الساعة ١١ مساءً

العلماء شهداء الحرب

من الذين قضى عليهم في هذه الحرب
الاستاذ بجنر الكيمائي الالماني الذي نال
جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩٠٧ . فانه قتل
وهو يحارب مع قومه في الميدان الغربي .

والدكتور توش استاذ علم الحيوان في جامعة
سنت اندروز ببلاد الانكليز فانه أُصيب
بالرعن (ضربة الشمس) في العراق فقضى
نحيبه . والعلماء الماهرون الذين يفيدون
بعلمهم قلال جداً في كل بلاد وهم اذا نزلوا الى
ساحة الوغى لا يكونون في استعمال السلاح
امهر من عامة الناس فيقتلون كما تقتل عامة
الجند مع ان الواحد منهم قد يكون انفع
لبلاده والزم من عشرة آلاف جندي فن
الاسراف والتبذير ان يعرضوا للهلكة كما
يعرض عامة الناس

مكروب التيفوس

ببحث كثيرون من كبار الاطباء في
السنين الاخيرة في طبيعة مكروب التيفوس
فتمكنوا من عزل بضعة انواع من المكروبات
من دم المصابين بالتيفوس ونخص بالذكر
الدكتور بلوتس الاميركي فانه عزل منذ
سنتين مكروباً ولكن لم يثبت احد منهم ان
مكروبه هو سبب الداء . وقد قرأنا في مجلة
ناتشر ان البرفسور كنزو فوتاكي الياباني
اكتشف نوعاً من البروتوزوى في كلى المتوفين
بالتيفوس وفي القروء الملقحة بها

السكر في الدنيا

يؤخذ من احصاء لوزارة الزراعة
الاميركية ان مساحة الارض التي تزرع
قصب سكر وبنجرًا في العالم كله ١٢ مليون
فدان نصفها يزرع قصبًا والنصف بنجرًا .
وان فدان البنجر يخرج ١٨٠٠ رطل سكر
الى اكثر من ضعف هذا المقدار اي الى
٣٩٠٠ رطل . وفدان القصب في رطل الى
اكثر من اربعة اضعاف ذلك اي الى
٩٠٠٠ رطل . وان اميركا كانت الاولى بين
البلدان في مقدار ما استوردت واستهلكت
من السكر في العشر السنوات من سنة
١٩٠٤ الى ١٩١٣ . ولكن استراليا كانت
الاولى في مقدار ما يخصُّ الرأس الواحد
من السكر المستهلك فقد بلغ متوسط ذلك
١١٣ رطلاً في السنة

السل في فرنسا

من المسائل التي شغلت بال الحكومة
الفرنسية هذه الايام ازدياد الاصابات
بالتدرن الرئوي في مدة الحرب فقد دلَّ
الاحصاء قبل الحرب على ان الوفيات بالسل
كانت ٣ في الالف يقابلها ١ في الالف في
انكلترا . ولكن مشقات الحرب افضت الى
ظهور ما كان مستكنًا من هذا الداء او
متوقفاً عن سيره بالمحافظة على الوسائل الصحية

فلم يأت آخر سنة ١٩١٥ حتى صرف ٨٦
الفاً من الجنود الى بيوتهم لظهور السل فيهم .
وبلغ عددهم ١٥٠ الفا في فبراير الماضي .
ويقال ان نصفاً الى واحد في المئة من الجيش
الفرنسي وعدده اربعة ملايين مصابون
بالتدرن . ومن رأي الدكتور « بجز »
الاميركي الذي اقتطفنا منه ما تقدم ان في
فرنسا ٤٠٠ الف مسلول الى نصف مليون

مصادر الكحول

في البلاد الحارة ثلاثة نباتات يمكن
استخراج السبيرة منها . الاول قصب السكر .
والثاني نبات « النبا » الذي ينبت في بلاد
الهند الصينية وما اليها من الجزر . والثالث
النباتات النشوية مثل الكسافا والاروروط .
ففي سنة ١٩١٤ استخرج من سكر القصب
والنبا في جزر فيليبين ١٢ مليون لتر من
السبيرة ولكن ٩٥ في المئة او اكثر استخرجت
من النبا وشجر الكوكو . والنبا رخيص وكل
شجرة منه يعصر منها ٢٠ لتراً الى ٥٠ من
السائل الذي يستخرج السبيرة منه فيها ١٥
في المئة من السكر . ويقدر ان فدان
الكسافا يخرج من النشا ثلاثة اضعاف ما
يخرج فدان الذرة فضلاً عن ان في الاول
٤ في المئة الى ٦ من السكر القابل للاختار .
اما الاروروط ففيه ١٨ الى ٢٢ في المئة من
النشا . ويقال انه اذا أُحسن تدبير هذه

النباتات في الاقاليم الحارة احنكرت هذه
الاقاليم صناعة السبيرتو وتجارتها

منفعة اللبن

مهما قيل في مدح اللبن فهو كالحسناء لا
نعدم ذاماً . ولكن مهما يبتدع المخترعون ويكشف
المكتشفون من الاطعمة المغذية السهلة
الهضم فان اللبن اكثر الاطعمة غذاءً واسهلها
هضمًا واعظمها ملائمة لجميع الامزجة ولا اكثر
الناس على اختلاف اعمارهم . وقد بحث
الاستاذ رنجر في اللبن من حيث علاقته
بالصحة فأطال في وصف قيمته الغذائية من
حيث هو لبن على جميع صورته سواء كان
حلياً او رائباً او بقشده او خالياً منها فحكم
بان له اعظم تأثير في نمو الجسم وقوته وانه
عامل لا يستغنى عنه في حفظ الصحة وتنظيمها
وذلك لاحتوائه على الدهن والسكر
والكاسيين (المادة الجبنية) والزالال اللبني
المعروف باسم « لكتوبومين » وبعض
الاملاح غير الآلية والمواد الحيوية المعروفة
باسم « فيتامين » والتي لا تزال حقيقة امرها
مراً من الاسرار

عظماء الرجال

كتب الفيلسوف برايس سفير انكثرا
السابق في اميركا مقالة في مجلة فورتنييلي
تكلم فيها عن خمسة عشر رجلاً اعطوا

لقب « عظيم » او « كبير » فقال انه كان
للصف يد في منح هؤلاء الرجال هذا اللقب
فان بعضهم كانوا من اهل الدرجة الثانية في
مدار كهم وكثيرين من اهل الدرجة الاولى
لم ينعتوا بالعظماء . والذين نعتوا بالعظماء
كانوا رجال عمل لا رجال فكر وليس بين
كبار المفكرين مثل شكسبير ودنقي وسقراط
وباكون وكنت ونيوتن وليبنس من سمي
عظيماً . وبعبارة اخرى انهم كلهم ماعدا
بابوين كانوا حكماً او فاتحين ولم يكن
للتفوق الادبي وشرف الاخلاق والغيرة على
الواجب يد كبيرة في هذه التسمية . قال :
« فان انشاء امة كما صنع وشنطن وانقاذ امة
من الخراب كما صنع لنكن هذان عملان
يحملان الشهرة خالدة . وبعد موت فردريك
الكبير كف الناس عن نعت الشهيرين
بالعظماء او الكبراء ولولا ذلك لكان وشنطن
ولنكن احق الناس بهذا اللقب »

طباع الغورلا

كان في بستان الحيوانات بمدينة دبلن
عاصمة ايرلندا غورلاً انثى ماتت بالامس بعد
ان عاشت في ذلك البستان ثلاث سنوات
واربعة اشهر . وقد وصف طبائعيها الاستاذ
كربنتر في المجلة الطبيعية الارلندية الصادرة
في شهر اغسطس الماضي فقال انها كانت
اليقة ودبعة لا تعتدي على احد ولكنها تكره

قبل الآن زجاج يحصى ثم يبرد فجأة ولا ينكسر . ولكن قرأنا في السينتك اميركان انهم اخترعوا في ولاية نيو يورك نوعاً جديداً من الزجاج لا ينكسر سريعاً بتداوله ولا بتمريره للحرارة ثم للبرد فجأة وجعلوا يصنعون منه آنية للطبخ . وزينه على الفخار ان محنو بآته ترى من خارج الآنية من غير ان تكشف فلا « يشعط » طعام فيه ولا يحترق كعك

اغرب العادات

انفذت جامعة بنسلفانيا الاميركية وفداً الى الامازون سنة ١٩١٣ للبحث في طباع بعض قبائل وعاداتهم ودرس اخلاقهم فرووا ان قبيلة الماكوسس تمارس العادة التي اشتهرت عن كثيرين من المتوحشين في جميع انحاء الدنيا وهي ان يلزم الوالد سريره عند ولادة مولود له . ويبقى كذلك مدة تختلف بين شهر واكثر لا يأكل في خلالها الا الطعام الخفيف اللطيف وتعني الوالدة المسكينة به وبمولودها . ورووا ان قبيلة اخرى تمارس هذه العادة ايضاً ولكن الوالد يبقى يأكل الطعام الخفيف مدة سنة كاملة بعد تركه سريره

وبين قبائل الامازون قبيلة كانت بالامس زاهرة زاهية ولكنها انقرضت لما سامها تجار اللستك الاوريون من النل

ان يحملها احد وكانت لها رفيق من نوع الشبنزي كانت تعطف عليه ولا تفارقه . ومرض الشبنزي فقلقت عليه قلقاً شديداً وكانت تلقي رأسه على ركبتيها وتعني به كما تعني الام بابنها المريض . ولما كان في صحته كانت اذا لمبت معه تضرب صدرها بجمع يديها كأنها تتحداه للقتال مزاحاً واذا قدّم لها طعام وهي تعلم انه يحبه تركته له كأنها تؤثره على نفسها وكان هو انشط منها واميل الى الحركة . ولم تعمّر غوراً اخرى اكثر منها في الاسرالا التي كانت في بستان الحيوانات في برسلو فانها عاشت فيه سبع سنوات

آنية زجاجية للطبخ

استعملت آنية الفخار منذ القدم للطبخ لرخصتها وسهولة صنعها واحتمالها للحرارة الشديدة . والمواد التي تصنع الفخار منها هي نفسها تستعمل لصنع الزجاج والفرق بين الطريقتين انه اذا اراد عمل الفخار مزجت المواد بعضها ببعض وصنعت منها الآنية على مختلف الاشكال ثم عرّضت لحرارة تكفي لاذابة بعض المواد التي على سطحها ويتألف منها سطح صقيل . واذا اراد عمل الزجاج اذيت هذه المواد في حرارة عالية ثم افرغت في قوالب او نفخت على الاشكال المطلوبة . والزجاج العادي سريع الانكسار ولم يصنع

نفقات اميركا على الحرب

قال المستر سموت احد اعضاء اللجنة المالية في مجلس الشيوخ الاميركي ان اميركا ستنفق في السنة الاولى من دخولها الحرب ٢٧ الف مليون ريال (اي ٥٤٠٠ مليون جنيه) وقد حسبت نفقات الجيش بناءً على ان عدد رجاله مليونان اي ٣٨٧ الفاً من الجيش النظامي و ٤٠٠ الف من الحرس الوطني و ٥٠٠ الف من الجيش الوطني و ١٠٠ الف من المحطات المختلفة

زراعة البطاطس

ظهر من تجارب جربت في انكلترا مدة سبع سنوات ان موسم البطاطس ييود كمّاً وكيفاً برش نباته بمزيج من خمر بوردو و برجندي قبل ظهور اثر لمن عليه . وان الفدان المرشوش اخرج من البطاطس طناً الى خمسة اطنان زيادة على غير المرشوش

مادة تأكل البلاتين

اكتشف الدكتور سمث الانكليزي مادة جديدة تأكل الزجاج والفخار والسكر حتى البلاتين والسلكا اذا وضعت عليها في نوع جديد من فصفات الصوديوم يختلف بعض الاختلاف في تركيبه عن الانواع المعروفة

والخسف فلم يبق منها سوى شقيقتين فدرس الوفد اخلاقهما وهيئتهما وسائر اوصافهما الطبيعية والادبية كما تدرس آثار الحيوانات البائدة . وهذا من اغرب ما عرف عن نسوة الانسان في معاملة اخيه الانسان

معتقد الزولو

الزولو من قبائل جنوب افريقية يعتقدون ان الروح يبقى بعد انفصاله عن الجسد ولكن دبانهم لا تنص صريحاً على خلود النفس . ولا يعلمون مدة بقاء الروح بعد انفصاله عن الجسد ولا هل يبقى الى الابد وكل ما يقولون ان جسد المرء هو الذي يموت اما روحه فيبقى . واذا لم يذهب الروح الى احضان نكولنكولو الاله الخالق قصد اقرب واد من مدفن الجسد فيبقى هنالك مدة يطراً عليه التغير في اثنائها ثم يعود فيظهر ثانية في زي افعى . اي انه يتحول الى افعى لا انه يدخل جسم افعى كانت موجودة . وعليه كان يحسب قتل هذه الافاعي فيما سلف جريمة لا تغتفر . وتعرف هذه الافاعي من غيرها بعدم اذاها

آلة سريعة لقص الشعر

روت السينفك اميركان ان بعضهم اخترع آلة سريعة لقص شعر الراس تدار بالكهربائية فهي تقص الشعر وترتبه في ثلاث دقائق الى خمس على الكثير

فهرس الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول (مصورة)	٤١٧
فضل العرب على الجراحة . للدكتور حسين المراوي (مصورة)	٤٢٥
اجسام غريبة في المعدة . للدكتور شخاشيري	٤٣٩
طرائف من ادب العرب . لنقيب	٤٤١
صفحة من تاريخ التجارة المصرية . لآحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء	٤٤٨
علاج الدفتيريا والسل	٤٥٩
بغداد امس واليوم . للسيد افندي خيرى الهنداوي	٤٦١
مراعي المستقبل	٤٦٦
المعادن وقت الحرب	٤٧٠
بسائط علم الفلك (مصورة)	٤٧٣
وفاة السلطان حسين كامل	٤٧٨

باب المراسلة والمناظرة * الولا في نقد ذكرى ابي العلاء . (اللين اقبل - الصبح اقبل)	٤٨٧
شربة زيت الخروع	
باب الصناعة * نباتات الصباغة . الصناعة في القطر المصري . معبل المسترولز	٤٩٣
باب تدبير المنزل * غلاء المعيشة في مصر . الرياضة متافعها ومضارها . مرض الشرايين . العسر . زمان تعليم الصغار	٤٩٧
باب الزراعة * محصول المحبوب في العالم . النجاح في الزراعة . الزرع في الزراعة . العلم في الزراعة . حفظ الاثمار والخضر . المواشي والزراعة	٥٠٣
باب التقريظ والانتقاد * ديوان ابن الرومي . اوراق مناثرة . مدينة النسطاط . بطرس الاكبر وولده . تاريخ الاتراك العثمانيين . ذكرى المولد النبوي . نشرة دار الكتب السلطانية . مختصر تاريخ المانيا . الحان الكنيسة القبطية . كتاب السعادة	٥٠٧
باب المسائل * وفيه ١٠ مسائل	٥١١
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٧ نبذة	٥١٥



المغفور له السلطان حسين الاول جلس على عرش مصر في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتوفي في ٩
 أكتوبر سنة ١٩١٧
 مقتطف ديسمبر ١٩١٧
 امام الصفحة ٥٢١